وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحـوث والمعلومات

تداعيات "طوفان الأقصى"
على مسار التطبيع مع الكيان الصهيوني

زهــران القاعدي

تداعيات "طوفان الأقصى"
على مسار التطبيع مع الكيان الصهيوني

زهران القاعدي

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحوث والمعلومات

ديسمبر 2024م - جمادى الأخرة 1446هـ

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحوث والمعلومات

الجمهورية اليمنية – صنعاء حي الحصبة
هاتف 01-563333
البريد الإلكتروني: albhwth3@gmail.com
الموقع الإلكتروني https://www.saba.ye/ar

الآراء الواردة في الورقة البحثية لا تعبر بالضرورة عن رأي الوكالة

قائمة المحتـــــويات

مـقـدمـة 4

فلسطين قبل عملية "طوفان الأقصى" 6

التطبيع ومجالاته 8

تاريخ التطبيع مع كيان العدو "الإسرائيلي" 9

أثر التطبيع على القضية الفلسطينية 13

الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للتطبيع مع "إسرائيل" 14

مسار التطبيع منذُ توقيع اتفاقية السلام الأولى 18

مجالات التطبيع العربي "الإسرائيلي" 23

مخاطر التطبيع مع كيان العدو "الإسرائيلي" 28

موقف المشروع القرآني من التطبيع مع العدو "الإسرائيلي" 31

تداعيات عملية "طوفان الأقصى" على مسار التطبيع 37

تأثير عملية "طوفان الأقصى" على المدى القصير والطويل لمسار التطبيع 60

التغيرات المحتملة في استراتيجية الكيان ناحية التطبيع 62

الموقف الأمريكي من مسار التطبيع في إطار "طوفان الأقصى" 63

الموقف الأوروبي من مسار التطبيع في إطار "طوفان الأقصى" 66

النظرة المستقبلية لمسار التطبيع بعد "طوفان الأقصى" 67

نتائج و خاتمة 69

المصادر 71

مقـــدمة

في الصبـاح المبـارك، صبـاح يوم السـبت السـابع أكتوبـر 2023م، كانت المنطقـة العربية ومـا يُسـمّى بمنطقـة "الـشرق الأوسـط"، مـع ولادة جديـدة لحـدثٍ هـام، حـدث غـيرّ الإسـتراتيجيات، وأفشـل مخططـات حُيكـت ضد الأمة الإسـلامية لسـنوات طويلـة، يومها أفاقت المنطقة على عملية غير مسـبوقة جرت أحداثها في الأراضي الفلسـطينية المحتلة، عمليـة عسـكرية أُطلـق عليهـا "طوفـان الأقـصى" نفذتهـا المقاومـة الأبيّـة في قطـاع غـزة ضـد كيـان الاحتـلال "الإسرائيـلي" الجاثـم عـلى دولـة فلسـطين العربيـة منـذُ مـا يقـارب قرنـاً مـن الزمان.

عمليـة خاطفـة ومفاجئـة اسـتهدفت فرقـة العـدو "الإسرائيـلي" المتمركـزة حـول غزة والمسـماة "فرقـة غزة" وقضت على جنـود الفرقة وآلياتها ومعداتها، واسـتمرت في التوغّل بمغتصبـات غـلاف غزة طاردةً ومطـاردةً للصهاينـة المحتلين.

لقــد كــان تنفيـذ عملية "طوفـان الأقـصى" ضرورة ملحّة، وفـرض إلهيّ مُقـدّس وهام، وهـو الجهـاد في سـبيل اللـه وقتـال أعدائـه ومحاربـة الكفـر والفسـاد، وإحيـاء الأرض وإعمارهـا بشـعائر اللـه، وانطلاقاً من الواجـب الديني قبل الوطني، فـكان لابد من تنفيذ عمليـة "طوفـان الأقـصى"، و كان لابـد مـن حـدث كبـير يرسـم أفـق المسـتقبل في صراع الأمـة الإسـلامية مـع عدوهـا الصهيـوني اليهـودي، وكان لابـد مـن شيء يعيـد الأمـة إلى واقعهـا، إلى قضيتهـا، إلى حقيقـة عدوهـا، لذلـك كانـت عمليـة "طوفـان الأقـصى" بمثابة ذلـك الحـدث المطلـوب ليوقـظ الأمـة مـن غفلتها.

جـاءت عمليـة الطوفـان لتكون الفصل والشـاهد العـدل الذي ينقذ ما تبقـى من أنظمة و كيانـات الأمـة مـن الانـزلاق الخطير إلى حضـن عدوهـا الأزليّ والتاريخيّ تحت مسـمّى "التطبيـع" الـذي يسـعى لـه كيان العـدو "الإسرائيـلي" مع الغـرب في جرّ الأمّة الإسـلامية نحوه.

لقـد غـيرت معركة "طوفان الأقصى" مسـتقبل مشروع التطبيع مـع الصهاينة، ووضعته

أمـام حقيقـة مفضوحـة كشـفت هشاشـته وضعفـه، وأنتجـت تداعيـات كبـيرة عـلى مسـار التطبيـع في المنطقـة، تترتـب عليهـا وتـترك أثراً عـلى المـدى الطويل، إلى جانـب حقيقة وجـوده ككيـان محتـل عـلى أرض عربيـة إسـلامية، ووضعـت الأنظمـة العربيـة العميلـة التي كانت تُسـارع إلى التطبيع معه في إحراج شـديد، إذ وضعتها أمام اسـتمرارية الصراع مـع عدوهـا وأنـه لا يمكـن تحقيق السـلام أو التسـامح معـه أبداً.

ومـن هنـا، شـكّلت معركـة "طوفـان الأقـصى" انعطافـة تاريخيـة لمرحلـة جديـدة مـن الـصراع مـع العـدوّ، فبعـد أكـثر مـن عـام حافـل بالأحـداث، يجـدر بنـا أن نتوقّـف عـلى جملـة مـن تداعيـات ونتائـج معركـة "طوفـان الأقـصى" ومـا أفرزتـه مـن واقـع جديـد في المنطقـة عـلى مسـار التطبيـع العـربي "الإسرائيـلي".

فلسطين قبل عملية "طوفان الأقصى"

ما قبل عملية "طوفان الأقصى" ومنذُ عقود والجرائم الصهيونية بحق الفلسطينيين لم تتوقف، فمنذ بداية إعلان قيام ما تُسمّى "دولة إسرائيل" على التراب الفلسطيني في عام1948م ، تعرّض الفلسطينيون للقتل والتشريد من قراهم ومدنهم وتم السيطرة على مزارعهم وتم تهجيرهم إلى القرى والبلدان المجاورة ، ومنذُ ذلك اليوم وصراع الوجود بين الفلسطينيين واليهود مستمرّ ، لتتابع الأحداث وتتكرر الانتفاضات في وجه المحتلين الصهاينة ، ويوما بعد يوم يمعن كيان العدو في قتل الفلسطينيين وتشريدهم وتعذيبهم ، وكلما زاد الصلف الصهيوني زادت وتيرة الغضب الشعبي الفلسطيني ، وتعملقت قوة الانتفاضة و المقاومة.

ما قبل عام من عملية "طوفان الأقصى" بلغ القتل والأسر بحق الفلسطينيين ذروته، وتم طرد آلاف الفلسطينيين، وبناء مئات المستوطنات خاصة في الضفة الغربية.

وازداد التصعيد في الضفة الغربية والقدس وغزة منذ تشكّل حكومة "نتنياهو"، وسجلت قوات الاحتلال أرقاما قياسية في قتل الفلسطينيين، وتدنيس مقدساتهم والاعتداء على نسائهم، وحرق بلداتهم، حيث دمرت وردمت 160 بئرا ومجرى مياه منذ مطلع عام 2021، وهو ما اعتبره الكاتب الصهيوني -جدعون ليفي- بأنه "أحد أعمال الاحتلال شرا"، في مقالة له بصحيفة هآرتس العبرية.

ومنذ مطلع عام 2023، قتلت "إسرائيل" خلال اقتحاماتها للمدن والبلدات أكثر من 220 فلسطينيا في الضفة الغربية والقدس وغزة بينهم نحو 40 طفلا و11 امرأة، وفقا لاحصائيات وزارة الصحة الفلسطينية، وذلك قبل اندلاع "طوفان الأقصى".

وفي تقرير صدر عن منظمة هيومن رايتس ووتش في أغسطس/آب الماضي، قالت المنظمة إن "الجيش وشرطة الحدود في إسرائيل يقتلون الأطفال الفلسطينيين دون أي سبيل فعلي للمساءلة"، مطالبة سلطات الاحتلال "إنهاء الاستخدام الروتيني وغير القانوني للقوة القاتلة ضد الفلسطينيين، منهم الأطفال".

أما الحصار المفروض على غزة فقد فرض ضغطاً ومعاناة كبيرة على سكان غزة، حيث

تحولـت غـزة عـلى مـدى 17 عامـاً إلى أكـبر سـجن مفتـوح في العـالم، حتـى المـرضى لم يكـن لديهـم وسـيلة للخـروج للعلاج، وإرسـال المسـاعدات الإنسـانية، خاصـة الأدوية، إلى غـزة كان إما مسـتحيلاً أو نـادراً مـا يتم.

أمـا إدخـال المسـاعدات الغذائيـة إلى غـزة فيتم ببطء شـديد وبطريقة تُبقي على حيـاة الناس، وفيـما يتعلـق بالأوضـاع الاجتماعيـة والاقتصاديـة، فـإن 60% مـن الفلسـطينيين المقيمـين في غـزة عاطلـون عـن العمـل، و40% منهـم أطفـال وشـباب»، كما فـرض الكيـان الصهيـوني حروباً متكـررة عـلى الفلسـطينيين، وخاصـة سـكان غـزة، مـما أدى إلى استشـهاد الآلاف وإصابـة مئـات الآلاف وتهجـير الملايـين.

وبعـد عمليـة "طوفـان الأقـصى"، أعلنت حركة حماس في بيـان لها أن أحد أسـباب تنفيذ هذه العمليـة هـي هـذه الحـروب التـي فُرضـت عـلى القطـاع، وقالـت: " قطـاع غـزة عانى مـن خمس حـروب مدمـرة، وفي كل مـرة كانـت إسرائيل هـي البادئة".

ومنذ عام 2000 وحتى سـبتمبر 2023، استشـهد 11,299 فلسـطينياً، وأصيب 156,768 آخرون عـلى يـد قوات الاحتـلال، وكانت الغالبيـة العظمى من الضحايـا من المدنيين.

التطبيـع ومجالاته

مفهوم التطبيع:

يـأتي المعنـى اللغـوي لكلمـة "تطبيـع" ومصدرها "طبّـع" إلى جعل شـيئاً ما عاديـاً ومألوفاً بعد أن كان عكـس ذلـك، واصطلاحـاً يعنـي تطبيـع العلاقة مـع العدوّ بجعلهـا عاديـة ومألوفة، وكلا المعنيـين يشـيران إلى نتيجـة واحـدة مفادهـا؛ التحـول مـن حالـة غير مألوفـة أوغـير طبيعية أو قـد توصـف بأنهـا حالة شـاذة، إلى حالـة طبيعيـة ومألوفة.

وفي واقعنـا العـربي والإسـلاميّ يـأتي تطبيـع العلاقـة مـع العدوّ"الإسرائيلي" جوابـاً مكتملاً لأسـئلة علاقـةٍ مشـوّهة في أصلهـا وطـرق مـن خـلال تحقيـق التعـاون والتشـارك في مجـالاتٍ متعـددة مـع عـدوٍّ لا يرقـب في مؤمـنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّـة.

من أشكال التطبيع:

تتعـدد أشـكال التطبيـع، غـير أن أبرزهـا يتبلـور في المجـالات الاقتصاديـة والدبلوماسـية من خـلال والعسـكرية، ليضـاف إليهـا المجـالات الاجتماعيـة والثقافيـة، وغيرها.

ويتمـثّ إجرائيـاً في قيام بعـض الدول العربية بالاعتراف بوجود الكيـان "الإسرائيلي" وتوقيع اتفاقيـات "سـلام" معـه، عـلى حسـاب القضيـة الفلسـطينية، رغم سـلوكه العـدواني والاسـتيطاني، وإقامـة شراكات معـه سـواء مبـاشرة أو غير مبـاشرة وعلى مختلف المسـتويات.

ومهـما تعـددت وتباينـت أشـكال ومجـالات وأنـواع ووجـوه التطبيـع فهـي تصـبّ في نهايـة الأمـر إلى التسـليم بأحقيّـة الوجـود لعـدوٍّ شرح اللـه العظيـم في كتابـه الكريـم زيـف وجـوده، وفضحـه عـلى رؤوس الخلائـق حتـى قيـام السـاعة، وعـرّى مرامـي وأهـداف نفسـيته البغيضـة، وأكّـد سـبحانه وتعـالى أن هـذا العـدوّ لا عهـد لـه ولا ميثـاق، وإنمـا يتغـذّى عـلى المكـر، ويسـعى لتحقيـق أهدافـه بالخديعـة.

تاريخ التطبيع مع كيان العدو "الإسرائيلي"

بَـرزَ مصطلـح "التطبيـع" عقـب التوقيـع عـلى معاهـدة السـلام المصريـة "الإسرائيليـة" سـنة 1979، والتـي نصـت عـلى أن "يُقيـم الطرفـان فيـما بينهـما علاقـات طبيعية كتلـك القائمة بين الـدول في وقـت السـلم،" بعدمـا كانـت العلاقـات مـع النظـام "الإسرائيـلي" في السـابق تُسـمى خيانة.

وردًا عـلى مصطلـح "التطبيـع"، أخذَ الفلسـطينيون والعرب يسـتخدمون مصطلـح "مناهضة التطبيـع" الـذي يعنـي رفض التعامل مـع النظـام "الإسرائيلي" ككيـان طبيعي.

في العقـد الـذي تـلا التطهير العِرقي لفلسـطين عام 1948، دخل القـادة العرب في مفاوضات سريـة مـع النظـام "الإسرائيـلي"، وكان أبرزهـم النظـام المغـربي، الـذي عـزَّز علاقاتـه سرًا مـع أجهـزة الأمـن التابعـة للموسـاد في عهـد الملـك الحسـن الثـاني في عقـد السـتينات، وشـملَ ذلـك السـماحَ للموسـاد بفتـح مكتـب صغـير في الرباط.

بَلـغَ هـذا التعـاون ذروتـه في قمـة جامعـة الـدول العربيـة المنعقـدة سـنة 1965 في الـدار البيضـاء، حيـث أُفيد أن الموسـاد سـاعدَ المخابرات المغربية في التنصت على غـرف الفنادق وقاعات المؤتمـرات التـي نزلَ فيها وارتادها القادةُ العرب المشـاركون في القمة، ودرَّبت أجهزةُ الاسـتخبارات "الإسرائيليـة" نظيراتهـا المغربية أيضاً على أسـاليب قمـع المتمردين بهدف اسـتخدامها ضد حركة تحريـر الصحـراء الغربيـة – البوليسـاريو، وبعدهـا اسـتضاف الملـك الحسـن الثـاني اجتماعـات سريـة بـين الموسـاد ومسـؤولين مصريـين أفضت في نهايـة المطـاف إلى أول اتفاق تطبيع رسـمي بـين دولـة مصر العربيـة ونظـام الكيان.

وقَّعـت مـصر معاهـدة سـلام مع الكيـان "الإسرائيلي" سـنة 1979 بعد ثلاثة عقود مـن العداء، وفي المقابـل، انسـحبَ النظـامُ "الإسرائيـلي" من شـبه جزيرة سـيناء التي كان يحتلهـا منذ 1967، وبعدهـا بأربعـة عـشر عامـاً، وقَّعـت منظمـة التحريـر الفلسـطينية والنظـام "الإسرائيـلي" عـلى اتفاقـات أوسـلو، وفتحـت الباب لمزيـد من التطبيع الإقليمـي، بل إن اعتراف القيادة الفلسـطينية بنظـام الكيـان بموجـب الاتفاقيات أبـاح للآخرين أن يحـذوا حذوها.

بُعيـد توقيـع أوسـلو، طبَّـع الأردن العلاقـات مـع الكيـان الصهيـوني بتوقيـع معاهـدة "وادي

عربة" سنة 1994 التي أنهت رسمياً حالة الحرب بين البلدين، وأقامت علاقات دبلوماسية كاملة، ورسَّخت موقع المعابر الحدودية بينهما، وفي المقابل، تلقى الأردن مساعداتٍ عسكريةً واقتصادية كبيرة من الغرب، وعزَّز مكانته كحليف رئيسي للولايات المتحدة في المنطقة.

وفي عام 1996، أصبحت قطر أول دولة خليجية تعترف بنظام الكيان من خلال إقامة علاقات تجارية معها، وفي القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا المنعقدة سنة 1997 في الدوحة، استضاف القطريون وزير التجارة "الإسرائيلي"، في خطوةٍ أثارت غضب النظام السعودي آنذاك، غير أن العلاقات تدهورت بعد العدوان "الإسرائيلي" على غزة في 2008، حيث أوقفت قطر جميع العلاقات الرسمية، وفي عام 2010، رفضَ الكيان مبادرةً قطرية لاستئناف العلاقات بموجب اتفاقٍ يسمح لقطر بإرسال مساعدات إلى غزة، ومع ذلك، استمرت العلاقات غير الرسمية بين النظامين، كما استمر حجم التجارة المتواضع بينهما.

بالرغم من أن التطبيع الرسمي بين الكيان والأنظمة العربية الأخرى استغرقَ وقتاً أطول، إلا أن العلاقات السرية والتعاون في مجال الأمن والاستخبارات استشريا بعد اتفاقات أوسلو، وكانت المخاوف من احتمال حدوث اضطرابات داخلية عاملاً حافزًا لذلك التعاون، ولا سيما بعد اندلاع الانتفاضات في شمال إفريقيا والعالم العربي سنة 2011، إذ أثار الدعم السطحي الذي قدمه الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما في بادئ الأمر للثورات قلقَ دول الخليج الاستبدادية، ولا سيما عندما أخذت الولايات المتحدة تضغط عليها لتنفيذ إصلاحات ديمقراطية، وأدى الاتفاق النووي الذي أبرمته إدارته سنة 2015 مع إيران إلى توثيق الروابط بين "إسرائيل" والإمارات بعد أن شعر كلاهما بالخيانة، بل إن المشاعر المعادية لإيران وبزوغ جيلٍ جديد من القادة (غير المنتخبين) الملتزمين بتعزيز العلاقات مع الغرب والابتعاد عن إرث القومية العربية أدى إلى تقارب دول خليج عديدة مع النظام "الإسرائيلي".

إمكانية مشاركة تكنولوجيا المراقبة كانت أيضًا عاملاً حافزاً لهذا التقارب، حيث كشفَ تحقيقٌ أجرته صحيفة نيويورك تايمز مؤخراً حولَ برنامج التجسس "الإسرائيلي" "بيجاسوس" أن المسؤولين "الإسرائيليين" عرضوا البرنامج على دولة الإمارات "كقربان هدنة" في عام 2013، وسعت "إسرائيل" من وراء هذا القربان إلى تعويض الإمارات عمّا اقترفه عملاء الموساد قبلها بثلاث سنوات عندما اغتالوا مسؤولًا لحماس في دبي دون إبلاغ الحكومة الإماراتية بالعملية،

وبالنسبة إلى الإمارات، فإن برنامج التجسس جاء في وقته، إذ كانت السلطات تعكف على قمع المعارضة السياسية بهدف كبح الانتفاضة المحلية.

وفي أيلول/سبتمبر 2020، أصبحت الإمارات والبحرين ثالث ورابع دولتين عربيتين تقيمان علاقات دبلوماسية رسمية مع النظام "الإسرائيلي" من خلال اتفاقات "أبراهام" التي رعتها إدارة ترامب، وأشادت بها الكثير من وسائل الإعلام الرئيسية باعتبارها معاهدات سلام تاريخية، رغم أن البلدين لم يكونا قط في حالة حرب مع النظام "الإسرائيلي"، ومع ذلك، كانت وسائل الإعلام محقة في تأكيدها على الأهمية التاريخية للاتفاقات بسبب طابعها السافر.

بُعيد توقيع الاتفاقات، أبرمت الإمارات صفقة أسلحة مع الولايات المتحدة بقيمة 23.37 مليار دولار، تضمنت شراء طائرات مقاتلة من طراز أف35- وأنظمة طائرات مُسيَّرة من طراز ريبر، وقال وزير الخارجية الأمريكي السابق مايك بومبيو حينها بأنه أجاز الصفقة انسجاماً مع روح اتفاقات "أبراهام" ومع أن نتنياهو أعرب في بادئ الأمر عن معارضته لصفقة الأسلحة خوفاً من أن تتحدى التفوق العسكري النوعي للنظام "الإسرائيلي" في المنطقة، إلا أنه غيَّرَ موقفه في وقت لاحق.

وفي حين أن المملكة العربية السعودية لم تكن طرفاً رسمياً في اتفاقات "أبراهام"، إلا أنها دعمت هذا التحول في السياسة، بل إن الاتفاقات ما كانت لِتُبرم لو عارضتها السعودية، التي شهدت علاقاتها بالنظام "الإسرائيلي" بعض التطورات المهمة في 2022.

وبعد سنوات من المفاوضات والتدخل من إدارة بايدن، وافق النظام "الإسرائيلي" على ترتيبٍ أُبرِمَ سنة 2017 بين مصر والسعودية يقتضي انتقال السلطة على جزيرتي تيران وصنافير في البحر الأحمر من مصر إلى السعودية، وقد استغلت "إسرائيل" الحاجة إلى موافقتها المطلوبة بموجب معاهدة السلام المصرية "الإسرائيلية" لعام 1979، لإجبار السعودية على السماح للطائرات "الإسرائيلية" بالتحليق عبر مجالها الجوي، أمّا النظام المصري، فقد وافق على نقل قوة المراقبة المتعددة الأطراف من الجزيرتين إلى مواقع في شبه جزيرة سيناء.

وفي إعلان رسمي، لم يذكر السعوديون الكيان "الإسرائيلي" بالإسم، وإنما أشاروا إلى "فتح

أجـواء المملكـة لجميـع الناقـلات الجويـة التـي تسـتوفي متطلبـات الهيئـة [هيئة الطـيران المدني السـعودي] لعبـور الأجـواء.“ وهـذا يعكـس إحجـام السـعودية المسـتمر عـن التطبيـع الرسـمي مع النظـام الإسرائيلي.

وبالفعـل، أكَّـدت وزارة الخارجيـة السـعودية في تموز/يوليـو 2022 موقفهـا الرسـمي بـأن التطبيـع يتوقـف عـلى تنفيـذ مبـادرة السـلام العربيـة لعـام 2002، التي تدعـو إلى قيـام دولتين عـلى أسـاس حـدود عـام 1967، وانسـحاب النظـام "الإسرائيلي" مـن الأراضي المحتلة عـام 1967، وتأمـين القـدس الشرقيـة كعاصمـة للدولـة الفلسـطينية المسـتقبلية، ومـع ذلـك، وبينـما تظـل جامعـة الـدول العربيـة ملتزمة رسـمياً بمبادرة السـلام العربيـة، إلا أن جميع التحـركات المذكورة أعـلاه تُبـين أن التخـلّي عـن الدولـة الفلسـطينية والنضال الفلسـطيني من أجـل التحرير قد تم بالفعـل عـلى مسـتوى الدولة.

أثر التطبيع على القضية الفلسطينية

باعتبـار أن القضيـة الفلسـطينية تعـد القضيـة الأساسـية التـي تجمع بـين كل الـدول العربية وتؤثـر عـلى الأمـن القومـي العـربي ككل، فيجـب توضيـح الأثـر السـلبي للتطبيع عـلى القضية الفلسـطينية وبالأخـص في ظـل الأحـداث الحاليـة منـذ عمليـة "طوفـان الأقـصى" في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م.

يتمثـل هـذا الأثـر في أنـه مـن المؤكـد أن التطبيـع يـضر ضرراً كبـيراً بالقضيـة الفلسـطينية، إن لم يكـن يقـضي عليهـا، لأنـه في حالـة قيـام كل الـدول العربيـة بإقامـة علاقـات طبيعيـة مع "إسرائيـل" مـا الـذي سـيبقى في يـد العـرب والفلسـطينيين مـن أوراق لـكي يضغطـوا بهـا عـلى "إسرائيل"!.

انعكـس ذلـك بوضوح في موقف رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامـين نتنياهو بعد الاتفاقيات الإبراهيميـة، واقتـصرت تصريحاتـه بما يخـص القضية الفلسـطينية بقوله" سـيتم حل القضية الفلسـطينية عـن طريـق اسـتكمال علاقاتنـا مـع العـرب "، بمعنـى أن التركيـز الأكـبر كان عـلى اسـتكمال العلاقـات مع العرب وليـس القضية الفلسـطينية.

كذلـك عنـد النظـر لموقـف الـدول العربيـة نجـد أن الإمـارات عنـد التمهيـد للتطبيـع كانـت تـصرح بـأن مبررهـا للتطبيـع هـو منـع ضـم "إسرائيـل" للضفـة الغربيـة، ولكـن بعـد التطبيـع أصبحـت العلاقـات عاديـة جـداً تسـودها المهرجانـات الثقافيـة والمعـارض الفنية، وحائـط للمبكى في أبـو ظبـي، ومجمـع للأديـان، وسـياحة واسـتثمارات هائلـة، وفي المقابـل القضية الفلسـطينية لم تسـتفد شـيئاً مـن هـذا التطبيـع، بل عـلى العكس سـتكون مهـددة بالاختفاء في حالة اسـتمرار التطبيع.

الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للتطبيع مع "إسرائيل"

يُعتبرالتطبيـع العـربي "الإسرائيـلي" بمثابـة حلـم يسـعى لـه قـادة الحكومـات "الإسرائيليـة" المُتعاقبـة، ويسـعون لتحقيـق هـذا الحلـم دون كلـل، مـن منطلـق أن التطبيـع خطـوة مهمـة للاعـتراف بـ"إسرائيـل"، لأن الطابـع الغالـب عـلى العلاقـات العربيـة "الإسرائيليـة" منـذ قيـام دولـة "إسرائيـل" عـلى أرض فلسـطين عـام ١٩٤٨م هـو طابع صراعي سـواء بشـكل مبـاشر أو غير مبـاشر، وذلـك إدراكاً مـن أن ما يُسـمّى بدولة "إسرائيل" ما هي إلا جسـماً غريبـاً زُرع في محيط مُعـاد له.

مـن هـذا المنطلـق يـدرك الجانب الصهيـوني أن التخلص مـن العِداء العـربي والحصار الموجه تجـاه دولتهـم، فضـلاً عـن فـرض كيـان دولتهـم في المنطقـة يتطلـب الحصـول عـلى الشرعيـة الدوليـة مـن خـلال الاعـتراف بهـا وقبولها مـن معظـم دول العالم وخاصـة الـدول العربية التي لطالما غلـب الطابـع الصراعي عـلى علاقاتهم.

ومـن ثـم، تحـاول "إسرائيل" كسـب اعـتراف الـدول العربية والنظـام العربي الرسـمي بها من خـلال خلـق علاقـات طبيعيـة بينهـا وبـين الـدول، وتدريجيـاً لاحظنا أن هنـاك تحـول لعلاقات الـصراع بـين "إسرائيـل" والبلـدان العربيـة إلى علاقـات طبيعيـة، وإلى تطبيع، وهذا هـو الطابع الخطـير الذي تسـعى لـه "إسرائيـل" من خـلال التطبيع.

لذلـك فـإن القـول بـأن التطبيـع ليس هـدف "إسرائيل" للسـلام كما يُـروّج له، بـل هو خطوة في طريـق تحقيـق أهدافهـا الأبعـد، ليـس كلاما إنشـائيا أو اعتباطيا، بـل هو كلام قابـل للإثبات علميـا وموضوعيـا والأدلـة عليـه أكـثر مـن أن تحصى نذكـر بعضها على سـبيل المثال:

أهـداف إسرائيـل الكـبرى: وهـي مذكـورة تقريبـا في معظـم كتابـات ومذكـرات قـادة الصهيونيـة مـن تيـودور هرتـزل إلى حاييـم وايزمـان وديفيـد بـن غوريـون ووصـولا إلى رئيس الـوزراء الحـالي بنيامـين نتنياهـو الـذي ذكرهـا صراحـة في كتابـه "مـكان تحـت الشـمس".

هـذه الأهـداف ليسـت مـن قبيـل الشـعارات الفارغـة والرنانـة التـي نسـمعها كل يـوم في عالمنا العـربي، بـل هـي مبـادئ عمـل تُكـرس لهـا كل الإمكانـات وتوضـع في خدمتهـا كل السياسـيات والاسـتراتيجيات، وهـذا واضـح تمامـا في كل تصرفـات الكيـان.

وهناك دراسات علمية أثبتت أن التطبيع يؤثر بشكل سلبي على الأمن القومي العربي، و ترى أن التطبيع هو عملية سياسية تسعى إلى نقل الحالة السياسية الأمنية بين الكيان "الإسرائيلي" وبلدان الوطن العربي إلى حالة تحالف عسكري أمني استراتيجي على حساب مفهوم الأمن القومي العربي، وكذلك تسعى لتثبيت الكيان "الإسرائيلي" وتأمينه دولياً كدولة وطنية ذات سيادة، والاعتراف بها على الأراضي الفلسطينية المحتلة سواء في محيطها الإقليمي أو الدولي، وكذلك تسعى لتحويل القضية الفلسطينية من جوهر للنزاع العربي "الإسرائيلي" إلى قضية داخلية يتفاوض حولها الكيان "الإسرائيلي" مع قلة من السياسيين الفلسطينيين، وكذلك توضيح أن تلك العملية بأبعادها المختلفة بالأخص العسكرية والأمنية تسعى لحماية الكيان وإعطائه فرصة للتوسع على حساب الأمن القومي العربي.

الهيمنة على الشرق الأوسط:

هناك تفسيرات توضح أن المشروع الصهيوني يسعى للهيمنة على المنطقة العربية ككل، والهيمنة هنا بمعنى أن يكون لـ"إسرائيل" يد نافذة في الشرق الأوسط، لأن "إسرائيل" لن تنسى أنها تعرضت لعدة حروب من الدول العربية وبعضها كان قويا مثل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م، وبالتالي عندما تقوم بتحسين علاقتها بالدول العربية ستكون في مأمن أكثر من الدول العربية.

بالإضافة إلى أن أي دولة تسعى للهيمنة إن تمكنت من الهيمنة على الدول التي تسعى للهيمنة عليها فلن تضيع تلك الفرصة، وتظهر ثمار تلك المسألة حيث أن هناك خط بري يمر من الإمارات عبر السعودية والأردن لتزويد "إسرائيل" بالبضائع، وفي الوقت الذي يحاول فيه اليمنيين منع الملاحة البحرية مع "إسرائيل" فهناك خط تجاري ينقل البضائع لـ"إسرائيل" من ميناء دبي عبر السعودية والأردن إلى "إسرائيل"، وفي قمة العشرين الأخيرة تم تقرير وجود خط تجاري يربط الهند بـ"إسرائيل" عبر دول الخليج.

إن التطبيع الاقتصادي للكيان المحتل يمثل هدفاً ووسيلة في آن واحد، فهو وسيلة لأنه يعد أحد سبل تحقيق الشرعية للدولة اليهودية ومن ثم تحقيق الأمن الخارجي على أقل تقدير، وذلك لأن هذا التطبيع الاقتصادي سيفتح الآفاق نحو علاقات تعاونية بين الجانب

"الإسرائيلي" ومحيطه العربي، والذي بدوره سوف يؤدي إلى مزيد من الانفتاح العربي تجاه الاقتصاد "الإسرائيلي" الصناعي الرأسمالي ومن ثم وجود وانتشار المنتجات "الإسرائيلية" في الأسواق العربية، وظهرت أهمية التطبيع من الناحية الاقتصادية في تصريح شمعون بيرس أمام قمة الدار البيضاء للتنمية الاقتصادية قائلاً " إن مؤتمر الدار البيضاء ليس هدفه التفاوض السياسي من أجل السلام ولا دعم السلام عسكرياً ولكن بناء السلام اقتصادياً ".

فمن الواضح وفقاً لتقارير البنك الدولي والمؤسسات الاقتصادية الدولية يمكن القول أن الاقتصاد "الإسرائيلي" يعاني من عدة أزمات، هذه الأزمات يمكن وصفها بأنها أزمات بنيوية بالأساس ومنها محدودية الطاقة الاستيعابية، وضيق السوق الداخلية، وضيق الرقعة الزراعية، وندرة الموارد الأولية، ونقص الموارد المائية، فضلاً عن ارتفاع معدلات التضخم وعجز الميزان التجاري وميزان المدفوعات وتفاقم الديون الخارجية، فضلاً عن توجيه الجزء الأكبر من الإنفاق إلى الجانب العسكري.

ومن هنا تسعى "إسرائيل" إلى تجنب هذه الأزمات الاقتصادية من خلال التطبيع مع الدول العربية والذي بدوره سوف يؤدي إلى الوصول إلى المجال الحيوي لها بما يحتويه هذا المجال من موارد طبيعية، فضلاً عن كونه سوق استهلاكي كبير.. كما تسعى "إسرائيل" من خلال التطبيع إلى إلغاء المقاطعة الاقتصادية والتي بدأت في التراجع مع توقيع اتفاقية كامب ديفيد ثم تراجعت بشكل كبير مع مشروع السلام "الإسرائيلي" العربي بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م، والاعتماد على هذا السوق بدلاً من المساعدات الغربية والمنح الأمريكية.

أما البعد الاجتماعي للتطبيع فمن المعروف أن استيلاء اليهود على الأراضي الفلسطينية مثل الدافع المادي لإدماج اليهود وتطبيعهم في عالم آخر بعيد عن عالم المنفى الذي عاش فيه اليهود يعانون من الاضطهاد والنبذ من الشعوب الأخرى.. ومن ثم تعاظم الاعتماد على الأفكار الدينية التي تؤكد على عودة المخلص المنتظر الذي سوف يخلص اليهود من كل هذه المصاعب.

عملت الحركة الصهيونية على محاولة فصل هذه الأفكار الروحية عن الحلم الصهيوني المتمثل في إقامة دولة يهودية على الأراضي الفلسطينية ومن ثم إدماج اليهود في هذا العالم، كما أنه فشلت الحركة الصهيونية في تحقيق الهدفين الأساسيين التي وضعتهما نصب أعينها

أن تخـرج مـن الجيتـو وأن تكـون أمـة ككل الأمـم، لأنهـا لم تأخـذ في الحسـبان وجـود الشـعب الفلسـطيني وبالتـالي جـاء اليهـود مـن جيتـو الغـرب إلى جيتـو الـشرق والـذي يحيط بـه العنف مـن كل مكان.

كـما أن الحركـة الصهيونيـة لم تنجـح في فصـل الديـن عـن القوميـة وبالتـالي لم يصبح هذا الشـعب أمـة ككل الأمـم وظهـر ذلك في تصريـح رئيس الـوزراء بنيامين نتنياهو بقولـه" اليهود غـادروا الجيتوهـات الصغـيرة في أوروبا إلى جيتو كبير في الشرق محروسـاً بالأسـوار الحديدية "، فضـلاً عـن أنـه مـع قـدوم اليهـود إلى فلسـطين لم تكـن بوتقة صهـر لإلغـاء الاختلافات بين اليهـود ولكـن وجدت انقسـامات بين اليهـود الشرقيون (سـفارديم) والغربيون (اشـكانازيم).

ومـن ثـم اتجهـت القيـادات "الإسرائيليـة" منذ نشـأة دولتهـم المزعومـة إلى محاولة اسـتغلال أي فرصـة تسـاعد اليهـود عـلى التواصـل والاندمـاج مـع الشـعوب المختلفـة، وبالتـالي كان دافـع التعـاون الشـعبي والتواصـل الإنسـاني والتعايـش السـلمي وإنهـاء عزلـة هـذا الشـعب مـن أهـم الأبعـاد الاجتماعيـة "الإسرائيليـة" للتطبيـع مـع الشـعوب العربيـة.

مسار التطبيع منذُ توقيع اتفاقية السلام الأولى

تعـدّ اتفاقيـة "كامـب ديفيـد" الموقعـة بـين مـصر و" إسرائيـل" عـام 1979، أول معاهـدة للتطبيـع بـين طـرف عـربي و" إسرائيـل"، والـذي عدّهـا كثـيرون أول خـرقٍ للموقـف العـربي السـائد، الرافـض أو المقـاوم لمبـدأ الاعـتراف بــ "إسرائيـل" والتعامل معهـا بصفتها "دولـة" أولاً، و" غـير معاديـة" ثانيًـا، وقـد تضمنـت المعاهـدة وثيقتـين:

الأولى: وضعـت إطـارًا عامًا غير محدَّد للسـلام في الشرق الأوسـط، تضمن إجراء مفاوضات للفلسـطينيين والضفـة الغربيـة وغـزة.. **والثانيـة:** انسـحاب القـوات "الإسرائيليـة" على مراحل مـن سـيناء، عـلى أن يسـبق ذلـك إجـراء مفاوضـات للوصـول إلى معاهـدة سـلام بـين مـصر و" إسرائيل".

وقـد أكـدت هـذه الاتفاقيـة عـلى التـزام إطـار السـلام في الـشرق الأوسـط، المتفـق عليـه في كامـب ديفيـد في 17 أيلـول/ سـبتمبر 1978.

ومـما ورد في نـص الاتفاقيـة "وإذ تلاحـظ أن -مـصر و"إسرائيـل"- أن الإطـار المشـار إليـه، إنمـا قُصـد بـه أن يكـون أساسًـا للتطبيـع، ليـس بـين مـصر و"إسرائيـل" فحسـب، بـل أيضًـا بين "إسرائيـل" وأي مـن جيرانهـا العـرب -كل فيـما يخصـه- ممـن يكـون عـلى اسـتعداد للتفـاوض مـن أجـل التطبيـع معهـا عـلى هـذا الأسـاس، ورغبـة منهـا في إنهـاء حالة الحـرب وإقامة سـلام تسـتطيع فيـه كل دولـة في المنطقـة أن تعيـش في أمـن، واقتناعـا منهـما بـأن عقد معاهدة سـلام بـين مـصر و"إسرائيـل" يُعـدّ خطوة مهمة في طريق السـلام الشـامل في المنطقـة، والتوصل إلى تسـوية للنـزاع (العربي-الإسرائيـلي) عـلى المسـتويات كافة.

ومـما نصـت عليـه الاتفاقيـة أيضـاً: إنهـاء حالـة الحرب بـين البلديـن، وانسـحاب "إسرائيل" مـن سـيناء عـلى مراحل خلال 3 سـنوات، وإقامة علاقـات طبيعية وودية بعـد المرحلة الأولى من الانسـحاب، إضافـة إلى خفـض الوجـود العسـكري على الحدود بـين البلدين.

وفي عـام 1981، خـلال قمة فـاس، طرحت المملكة العربية السـعودية مبـادرة للتطبيع، تألّفت مـن ثمـاني نقـاط، وتضمنـت اعترافـاً ضمنيـاً بدولـة "إسرائيـل"، كـما أقـرت المبـادرة بحـق دول المنطقـة كافـة في العيـش بسـلام، ودعـت إلى إقامـة دولـة فلسـطينية عاصمتها القـدس الشرقية،

وقـد اصطدمـت المبـادرة عندمـا طرحت على قمة فـاس الأولى في تشرين الثـاني/ نوفمبر 1981 بالخلافـات العربيـة، حيث اسـتمرت القمة مدة أربع سـاعات فقط، لتنتهي بفشـل كبير كان مرده إصرار دول مثـل سـورية والجزائـر وليبيـا والعـراق، إضافـة إلى منظمـة التحريـر الفلسـطينية عـلى حـذف البنـد السـابع مـن الخطـة الـذي يتحـدث عن اعـتراف ضمنـي بــ "إسرائيـل"، ليعاد طرحهـا مـن جديـد في قمـة عربيـة ثانيـة عقـدت في فاس أيضـاً، بعد ذلـك بعدة أشـهر في عام 1982، حيـث أقرّتهـا القمـة رسـمياً، بعـد أن رأى المشـاركون فيهـا، ومنهم سـورية، أنهـا لا تتضمن أي تنـازل عـن الحقـوق العربيـة، وأنهـا تتفق مع قرار مجلـس الأمن (242)، وأصاب الفشـل هذا المبـادرة في عقـب الغـزو "الإسرائيلي" للبنان عـام 1982.

مؤتمـر مدريـد للسـلام، في 30 تشريـن الأول/ أكتوبـر 1991، شـاركت فيـه وفـود عربية منها سـوريا ولبنـان ومـصر، وشـكل الأردنيـون والفلسـطينيون وفـداً مشـتركاً، واسـتُبعدت منظمـة التحريـر الفلسـطينية منـه، كـما اشـترطت "إسرائيـل" لعقـده، ألَّا يجـري أي حديـث في المؤتمر عن دولة فلسـطينية مسـتقلة، وألّا يكون للمؤتمر أي صيغة إلزامية، في المقابل، اشـترطت الدول العربيـة أن تكـون المفاوضـات متعـددة الأطـراف، وألَّا تنفـرد "إسرائيـل" بـأي طـرف عـربي، في حـين أصرّت "إسرائيـل" عـلى أن تشـمل المفاوضـات جلسـات ثنائيـة إلى جانب الجلسـات متعددة الأطـراف، وُعـد الفلسـطينيون -خـلال المؤتمـر- بالمشـاركة في مسـار تفـاوضي يمتـد إلى خمـس سـنوات، عـلى أن يُصـار -ابتـداءً من العـام الثالث- إلى نقـاش الوضع النهائي، وهـذا ما أفضى إلى توقيـع "اتفـاق أوسـلو" لاحقًا.

في الجلسـة الافتتاحيـة للمؤتمـر، تحـدث الرئيـس الأمـيركي، جـورج بـوش الأب، عن "سـلام شـامل" تشـارك فيه "إسرائيـل"، وترتبط بموجبه بمحيطهـا العربي باتفاقيـات اقتصادية وأمنية ودبلوماسـية، أمـا الرئيـس السـوفياتي آنـذاك، ميخائيل غورباتشـوف، فتحدث عـن تطبيع وجود "إسرائيـل"، وأصرت "إسرائيـل" عـلى ألّا تبـدأ المفاوضـات الثنائيـة في مدريـد، واقترحـت إجراء المفاوضـات بالتنـاوب في "إسرائيـل" وعاصمـة عربيـة معنيـة، وفي مقابـل ذلـك، أصرت سـورية عـلى بـدء المفاوضـات فورا، واقترحت الإدارة الأميركية "حلاً وسـطيًا" يقـضي بعقد جولة جديدة في واشـنطن خلال كانون الأول/ ديسـمبر 1991، وبين هذا التاريخ وآب/ أغسـطس 1993 عُقدت 11 جولـة مـن المفاوضـات الثنائيـة في واشـنطن من دون أي نتائـج حقيقية.

وفي ضوء ذلك، قاطعت سورية ولبنان أول جولة متعددة الأطراف عُقدت في موسكو مطلع 1992، كما غاب الوفد الفلسطيني لإشكالات تتعلق بتركيبته والجدل القائم حول مشاركة فلسطينيي الشتات، وفي أثناء ذلك، أقام "الإسرائيليون" اتصالات سرية بالزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، وبدأ مسار آخر تُوِّج باتفاقية (غزة/أريحا أولًا) التي وُقعت في واشنطن، في 13 أيلول/ سبتمبر 1993، ومهدت لقيام السلطة الوطنية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة أواسط عام 1994.

وقعت منظمة التحرير الفلسطينية و" إسرائيل" اتفاق أوسلو، والمعروف رسمياً بإسم "إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي"، في 13 أيلول/ سبتمبر، ليليه اتفاقية "طابا" أو "أوسلو2" في 28 أيلول/ سبتمبر 1995، وهو اتفاق بشأن إجراءات تنفيذ المرحلة الثانية من "أوسلو" الخاصة بانسحاب القوات "الإسرائيلية" من مدن الضفة، والإفراج عن الأسرى الفلسطينيين، وتنظيم الانتخابات التشريعية في الأراضي الفلسطينية.

مع الوضع الدولي الجديد في بداية التسعينيات في إثر انهيار الاتحاد السوفياتي، والانقسام في الموقف العربي الذي أعقب دخول العراق إلى الكويت، وتأييد منظمة التحرير الفلسطينية للموقف العراقي، فُرض حصار مالي وسياسي على منظمة التحرير، وانعكست المتغيرات الدولية والإقليمية كلها على القضية الفلسطينية، وعلى منظمة التحرير

اتفاقية وادي عربة، في 26 تشرين الأول/ أكتوبر 1994، وهي ثاني اتفاقيات السلام بين طرف عربي و" إسرائيل"، وجاءت بعد نحو عام من اتفاقية أوسلو، نصت المعاهدة على أن الهدف منها هو تحقيق سلام عادل وشامل بين البلدين، الأردن و"إسرائيل" ، استناداً إلى قراري مجلس الأمن 242 و338 ضمن حدود آمنة ومعترف بها، ولتحقيق السلام المنشود ينبغي تخطي الحواجز النفسية بين الشعبين الأردني و"الإسرائيلي".

في قمة بيروت 2002، طرحت السعودية مرة أخرى "المبادرة العربية للسلام والتطبيع"، وأُعلن فيها أن السلام خيار استراتيجي بالنسبة إلى العرب و"إسرائيل"، وطالبت "المبادرة" قبول قيام دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ الرابع من حزيران/ يونيو 1967 في الضفة الغربية وقطاع غزة، تكون القدس الشرقية عاصمتها، كما طالبت بالانسحاب الكامل من الأراضي العربية بما فيها الجولان السوري، والتوصل

إلى حـل عـادل لمشكلة اللاجئـين الفلسـطينيين، وحينها -وبحسـب المبـادرة- يُعدّ النـزاع (العربي-الإسرائيـلي) منتهيـاً، ويتـم إنشـاء علاقـات طبيعية مـع "إسرائيل" في إطار هذا السـلام الشـامل.

في 23 آب/ أغسـطس 2020 بـدأت موجـة جديـدة مـن التطبيـع العـربي مع "إسرائيـل"، وكان عرّابهـا الرئيـس الأمـيركي، "دونالـد ترامـب"، ففـي هـذا التاريـخ أُعلن عـن اتفاقية السـلام بين الإمـارات العربيـة المتحـدة و" إسرائيـل"، لتلحقهـا كل مـن البحريـن في 11 أيلـول/ سـبتمبر، والسـودان في 23 تشريـن الأول/ أكتوبـر، والمغـرب في 10 كانـون الأول/ ديسـمبر 2020.

أمـا البحريـن، الثانيـة خليجياً والرابعـة عربياً، والتي تقيم علاقات رسـمية مـع "إسرائيل"، فقد وقّعـت مـا أطلـق عليـه اسـم "إعـلان تأييـد السـلام"، وورد فيـه: اتفق صاحـب الجلالـة الملك حمد بـن عيسـى بـن سـلمان آل خليفـة، ورئيـس الـوزراء بنيامـين نتنياهـو عـلى فتـح حقبة جديـدة من الصداقـة والتعـاون، يسـعى من خلال ذلك البلدان إلى تحقيق الاسـتقرار والأمـن والازدهار لصالح جميـع دول وشـعوب المنطقـة، كما تضمن "الإعلان" الاعتراف بحق كل دولة في السـيادة والعيش في سـلام وأمـن، إضافـة إلى مواصلـة الجهـد للوصول إلى حل عادل وشـامل ودائم للـصراع الإسرائيلي الفلسـطيني، كـما اتفـق الطرفـان على التباحث في اتفاقيات بشـأن الاسـتثمار، والسـياحة، والرحلات الجويـة المبـاشرة، والأمـن، والاتصـالات، والتكنولوجيـا، والطاقـة، والرعايـة الصحيـة، والثقافـة، والبيئـة، وغيرهـا مـن المجـالات ذات المنفعـة المتبادلة وصـولًا إلى تبادل فتح السـفارات.

أمـا بالنسـبة للسـودان، فقـد تزامـن إعـلان الرئيـس الأمـيركي دونالـد ترامـب عـن اتفاقيـة للتطبيـع بـين السـودان و"إسرائيـل" مـع توقيعـه مرسـوماً برفـع اسـم السـودان مـن القائمـة الأميركيـة للـدول الراعيـة للإرهـاب، وجـاء في الاتفـاق، إنهـاء حالـة العداء بـين البلديـن، وبدء العلاقـات الاقتصاديـة والتجاريـة، مـع التركيـز مبدئيـاً على الزراعـة، والتفاوض بشـأن اتفاقيات التعـاون في تلـك المجـالات، وكذلـك في مجـال تكنولوجيـا الزراعـة والطـيران وقضايـا الهجرة، وغيرهـا مـن المجـالات لصالـح الشـعبين، واتفقت الولايـات المتحـدة و"إسرائيل" عـلى الشراكة مع السـودان في بدايتـه الجديـدة، وضـمان اندماجـه الكامل في المجتمـع الدولي، وتعهـدت الولايات المتحـدة أنهـا سـتتخذ خطوات لاسـتعادة الحصانة السـيادية للسـودان، وإشراك شركائهـا الدوليين لتقليـل أعبـاء ديـون السـودان، كـما التزمت أيضـاً بدفع المناقشـات حـول الإعفاء مـن الديون بما يتفـق مع مبـادرة البلـدان الفقـيرة المثقلـة بالديون.

ووقعت أيضاً المملكة المغربية و" إسرائيل" في الرباط، أربع اتفاقيات على هامش توقيع اتفاق استئناف العلاقات بين البلدين برعاية أميركية، استئنافاً لعلاقات رسمية جُمِّدت في عام 2002 بعد انتفاضة الأقصى، فقد بدأ المغرب علاقاته مع "إسرائيل" على مستوى منخفض في عام 1993، بعد توقيع اتفاقية "أوسلو".

وتزامن إعلان "ترامب" عن هذا الاتفاق، مع اعتراف بلاده بسيادة المغرب على إقليم الصحراء، وفتح قنصلية أميركية بمدينة الداخلة في الإقليم المتنازع عليه بين الرباط وجبهة "البوليساريو"، وشملت الاتفاقيات الأربع بين البلدين، بحسب بيان وزارة الخارجية المغربية، المجال الاقتصادي والتجاري والسياحي.

تتعلق الاتفاقية الأولى بالإعفاء من إجراءات التأشيرة بالنسبة إلى حاملي الجوازات الدبلوماسية وجوازات الخدمة، والاتفاقية الثانية، تتعلق بمذكرة تفاهم في مجال الطيران المدني، والاتفاقية الثالثة تتعلق بمذكرة تفاهم حول "الابتكار وتطوير الموارد المائية"، والتي تنص على التعاون التقني في مجال تدبير وتهيئة الماء، والاتفاقية الرابعة كانت في مجال المالية والاستثمار، وتنصّ على إنعاش العلاقات الاقتصادية بين البلدين من خلال التجارة والاستثمار، إضافة إلى التفاوض حول اتفاقيات أخرى تؤطِّر هذه العلاقات، ويتعلق الأمر باتفاقية تجنب الازدواج الضريبي واتفاقية إنعاش وحماية الاستثمارات واتفاقية المساعدة الجمركية.

مجالات التطبيع العربي "الإسرائيلي"

تعـددت مجـالات التطبيـع العربي "الإسرائيـلي" ما بين مجموعة من المجـالات المرتبطة بالأبعـاد السياسـية والاقتصادية والثقافية، والبعض الآخـر مرتبط بالتطور التكنولوجي والمعلومـاتي كما يلي:

١ـ التطبيع السياسي والاقتصادي والأمني والثقافي:

التطبيع السياسي:

يمكـن تعريـف التطبيـع السـياسي عـلى أنـه الأفعـال التـي تقـوم بهـا الـدول بهـدف تكويـن علاقـات طبيعيـة مـع دول أخـرى وخاصـة إذا كانـت تلـك العلاقـات بعـد فـترات مـن الصراعات والحـروب، ويقـوم هـذا النـوع مـن التطبيـع عـلى أسـاس الاعـتراف المتبـادل بـين الـدول المُطبعة بسـيادة الطـرف الآخـر عـلى دولتـه والأراضي التابعـة لـه، مـع التـزام كل طـرف باحـترام تلـك السـيادة للطـرف الآخر واسـتقلاله السـياسي، ومـن أهم مظاهره هـو تبادل الزيـارات بين ممثلي الـدول المُطبعـة للعلاقـات السياسـية وكذلك التبـادل الدبلومـاسي بينهم، ويعد التطبيع السـياسي مـن أول مظاهـر التطبيـع العـربي "الإسرائيـلي" الـذي بدأتـه مـصر كأول دولـة عربيـة تعـترف بـ"إسرائيـل" ككيـان دولي مـن خـلال توقيـع اتفاقية السـلام.

ومـن أجهـزة التطبيـع السـياسي هـي التبـادل الدبلومـاسي والقنصـلي بـين الأطـراف المُطبعة، وكذلـك لقـاءات القمة التي تحدث بين رؤسـاء الدول، وكذلك العلاقـات البرلمانية والحزبية التي تعـد ذات أهميـة كبـيرة لدى الطـرف "الإسرائيـلي" وخاصة عند زيـارة الوفود العربية للكنسـيت ومكتـب الرئيـس "الإسرائيـلي" في مدينـة القـدس المحتلـة، وبالتـالي فـإن العـرب يعترفـون بأن القـدس تحـت السـيادة الصهيونية بشـكل رسـمي، ويمكن القـول أن أهم مؤشرات هـذا النوع من التطبيـع هـو توقيـع اتفاقيـات سـلام عربيـة "إسرائيلية"، وتبـادل الزيـارات واللقاءات الرسـمية، وعمل مبادرات سـلام سـواء على المسـتوى الفردي أو الثنائي أو الجماعي، وفتح سـفارات ومكاتب تمثيـل دبلومـاسي و قنصـلي على أراضي الـدول المُطبعة.

التطبيع الاقتصادي:

يتم تعريف التطبيع الاقتصادي على أنه التطبيع الذي يهدف لتبادل المصالح الاقتصادية المتمثلة في الاتفاقيات التجارية والتعاون الاقتصادي في مجالات مختلفة، ويعد التطبيع الاقتصادي هو الهدف الأكبر للدول العربية والطرف الإسرائيلي في إطار تبادل المصالح الاقتصادية، وبالأخص للكيان الصهيوني الذي يهدف من خلال التطبيع الاقتصادي مع الدول العربية لزيادة الحركة الإنتاجية لقطاعات مختلفة مثل قطاع الزراعة والصناعة وغيرها من القطاعات، وكذلك فتح أسواق لمنتجاته في الدول العربية، ومن أهم مجالات التعاون الاقتصادي إلى جانب التبادل التجاري هي فكرة التعاون في مجال الطاقة وخاصة مع دول الخليج العربي، وكذلك التعاون في مجال الصناعة، ومجالات المياه، والزراعة، والسياحة، وغيرها من المجالات. ويهدف هذا النوع من التطبيع إلى إنهاء المقاطعة الاقتصادية العربية ضد الكيان بالأساس.

ومن أهم مؤشرات هذا النوع من التطبيع هي إلغاء المقاطعة الاقتصادية، وإقامة مراكز تجارية متبادلة، والمشاركة في المشاريع المختلفة مثل المشاريع السياحية أو التجارية أو الزراعية أو غيرها من المشاريع، وتوقيع اتفاقيات للمناطق الصناعية، وكذلك حجم التبادل التجاري يعد مؤشر هام للتطبيع الاقتصادي، وتقديم الدعم لمنظمات أو جهات تدعم "إسرائيل" أو ذات علاقة بها سواء كانت هذه العلاقة علاقة مباشرة أو غير مباشرة، والمشاركة في القمم والمؤتمرات الاقتصادية.

التطبيع الأمني والعسكري:

قد تتسع علاقات التطبيع بين الدول العربية و"إسرائيل" إلى تطبيع أمني، أي أن العلاقات لم تقتصر فقط على علاقات اقتصادية وسياسية وغيرها بل امتدت لرؤية الطرفين بأن هناك مصالح متبادلة بينهما ومصالح مشتركة ينبغي التعاون فيما بينهم للدفاع عنها، وأن الدول العربية تتصور أن التعاون الأمني مع الطرف الصهيوني الذي يعد الطرف الأقوى استراتيجياً في المنطقة العربية سيكون بمثابة نقطة قوة لهما ضد أعدائهم في منطقة الشرق الأوسط.

ويتمثـل ذلـك التهديـد المشـترك أو المصالـح المشـتركة التي بينهـم في مواجهة النفـوذ الإيراني الـذي يعـد بالنسـبة للأطـراف العربيـة و"إسرائيـل" الخطر المشـترك، وقد يصل التعـاون الأمني فيـما بينهـم إلى القيـام بأعـمال وهجمات عسـكرية مشـتركة ضـد إيـران إذا اسـتدعى الأمر، وقد يظهـر التطبيـع الأمنـي والعسـكري كذلـك في شـكل تبـادل للمعلومـات الاسـتخباراتية، ومـن مـؤشرات هـذا النـوع مـن التطبيـع قيـام الـدول المُطبعـة بتوقيـع اتفاقيـات في مجـال التعـاون العسـكري والأمنـي، وإقامـة التحالفـات الأمنيـة والعسـكرية، والاشـتراك في المنـاورات التدريبية المشـتركة، والعمـل عـلى التنسـيق بـين الأجهـزة الأمنيـة والعسـكرية للأطـراف المُطبعة.

التطبيع الثقافي:

يتـم تعريفـه عـلى أنـه النمط مـن التطبيـع الـذي يركز على هويـة الشـعوب وقناعاتهـا، ومن هنـا يمكـن القـول إنـه النـوع الأخطـر مـن أنـواع التطبيـع لأنـه يجعـل الـدول العربيـة تخضـع للكيـان "الإسرائيـلي" وتتقبلـه في مقابـل تنازلهـم عـن مجموعة مـن القناعات الهامـة في إطار الهويـة العربيـة، ويـبررون ذلـك في إطار سـعيهم للحفاظ عـلى أمنهم القومي وتحقيق السـلام في المنطقـة العربيـة والـشرق الأوسـط، ويعد التطبيع الثقـافي هو إحدى الطرق لفـرض الرواية "الإسرائيليـة" في عقـول الشـعوب العربيـة وترسـيخها لجعلهـم يتقبلـون الطـرف "الإسرائيـلي" في المنطقـة العربية.

وتتمثـل مظاهـر ومـؤشرات التطبيـع الثقـافي في تنقـل الأفـراد بـين "إسرائيـل" والـدول العربيـة عـبر حـدود بعضهـم البعـض سـواء في إطـار السـياحة أو زيـارات لأماكـن تاريخيـة، أو في إطـار القيـام بأنشـطة اجتماعيـة وثقافيـة وعلميـة مختلفـة وغيرهـا مـن الأنشـطة الجماعية بـين الأطـراف المُطبعـة، وكذلـك تواجـد الوفـود الرياضيـة والاشـتراك في المسـابقات الإقليميـة والدوليـة، وتغيـير المناهـج التعليميـة بشـكل يتناسـب مـع مبـادئ السـلام المزعـوم وتقبـل الآخـر ونبـذ العنـف والحـرب وتنـاسي مبدأ العـداء لـ"إسرائيـل"، وكذلـك إقامة علاقات بـين الجامعات والمعاهـد العربيـة و"الإسرائيليـة"، بالإضافـة لتبـادل الأنشـطة الفنيـة سـواء الغنـاء أو التمثيل أو الأفـلام وغيرهـا مـن الأنشـطة الفنية، والعمل عـلى نشر ثقافة السـلام الصهيوني وحـوار الأديان والتسـامح والتعاون المشـترك.

2 ـ التطبيع الإعلامي والتكنولوجي والشبكي والاجتماعي:

التطبيع الإعلامي:

محـور هـذا النـوع مـن التطبيـع هـو وسـائل الإعـلام ودورهـم في إدارة العلاقات بـين الدول المُطبعـة، ويظهـر في شـكل الإعلانـات مدفوعـة الأجـر التـي يتـم نشرهـا سـواء مـن الطـرف "الإسرائيـلي" لـدى وسـائل الإعـلام العربيـة أو مـن الطـرف العـربي لـدى وسـائل الإعـلام "الإسرائيليـة" ، وكذلـك يظهـر في الحمـلات والزيـارات الصحفيـة والإعلاميـة التـي تحدث بين الأطـراف المطبعـة بهـدف الترويـج ونقـل صـورة معينـة لتلـك الأطـراف لـدى بعضهـم البعض بهـدف تحقيـق السـلام الصهيـوني وتقبـل الآخـر والتعايـش معهـم.

وكذلـك يظهـر هـذا النـوع مـن التطبيـع في السـماح لرمـوز التطبيـع للظهـور في وسـائل الإعـلام كنـوع مـن أنـواع الترويـج لـه، وقـد يكـون الطـرف "الإسرائيـلي" هـو الطـرف الأكـثر اسـتفادة مـن حيـث حرصـه على إظهار نفسـه في وسـائل الإعلام عـلى أنه الطرف الأكـثر حرصاً عـلى السـلام وأن الأطـراف الأخـرى هـي المعتديـة وأن قراراتـه مـا هـي إلا دفـاع عـن النفـس، أي أنـه يعمـل عـلى إظهـار نفسـه في دور الضحيـة سـواء في القضيـة الفلسـطينية أو في غيرهـا من القضايـا في منطقـة الـشرق الأوسـط.

التطبيع التكنولوجي:

يحـدث هـذا النـوع مـن التطبيع مـن خلال الترويـج بين الأطـراف المُطبعة لـضرورة التعاون التقنـي والتكنولوجـي، والعمـل عـلى إظهـار أن الطـرف "الإسرائيـلي" هـو الجانـب المتفـوق تكنولوجيـاً، وبالتـالي سـوف تتحقـق العديـد مـن المكاسـب للنظـم العربيـة الحاكمـة التي سـوف تقـوم بالتطبيـع معـه، خاصـة في ظـل التطـور التكنولوجـي الهائـل في الفـترات الأخـيرة، وفي المقابـل نجـد أن تلـك التكنولوجيـا وخصوصـاً البرمجيـات هـي إحـدى سـبل النظـم العربيـة لتتمكـن مـن البقـاء والاسـتمرار لأطـول فـترة ممكنـة، وعـلى الجانـب الآخـر نجـد أن اسـتمرار النظـم العربيـة التـي تقوم بالتطبيع مـع "إسرائيل" من خـلال هذه التكنولوجيا يشـكل مصلحة اسـتراتيجية لـ"إسرائيل".

التطبيع الشبكي:

كذلـك لعبـت وسـائل التواصـل الاجتماعـي دوراً هامـاً في حـدوث التطبيـع بـين الـدول العربيـة، حيـث أصبـح هنـاك تواصـل مبـاشر مـا بـين الشـعوب العربيـة والقيـادات والمسـؤولين "الإسرائيليـين" وكأنـه نـوع مـن أنـواع التعايـش الافـتراضي بعد أن كانـت كل محـاولات التطبيع تتـم في الإطـار الواقعـي سـواء سـياسي أو اقتصادي أو أمني وعسـكري أو إعلامـي أو ثقافي، وتم اللجـوء لهـذا النـوع مـن التطبيـع مـع تطـور وسـائل الاتصـال، ومـن مظاهـره تواجـد متحدثي الطـرف "الإسرائيـلي" بكـثرة على وسـائل التواصـل الاجتماعي العربيـة، وتبادل ونشر منشـورات ومقاطـع متعلقـة بالطـرف "الإسرائيـلي" حتـى وإن كان في إطـار انتقادهـا، وظهـور الحسـابات الرسـمية للمسـؤولين في الطـرف الإسرائيلي بكثرة في مواقع التواصـل الاجتماعي مثل صفحات " أفيخـاي أدرعـي " المتحـدث باسـم جيـش الدفـاع "الإسرائيـلي"، وصفحـة " إسرائيـل تتكلـم بالعربيـة " عـلى فيسـبوك وغيرهـا مـن الأمثلـة، وتلـك الصفحـات تعـد مُكرسـة بشـكل أسـاسي لتدعيـم التطبيـع الثقافي.

التطبيع الاجتماعي:

يمكـن اعتبـار هـذا النـوع مـن التطبيع هو آخر المجـالات أو المراحل التي سـيصل إليها التطبيع مـع الكيـان الصهيـوني ، حيـث أن "إسرائيـل" تنشـد أن يحـدث تطبيـع اجتماعـي ويكـون هنـاك اتصـال مبـاشر بـين الشـعبين العـربي واليهـودي في أنشـطة مختلفـة سـواء أنشـطة رياضيـة أو مهرجانـات فنيـة أو سـياحية أو السـماح بدخـول الوفـود من الطرفـين لأراضي بعضهـم البعض، وبالأخـص الوفـود "الإسرائيليـة" لكـن بـشرط أن يكـون تحـت حمايـة عربيـة، ولكـن الوصـول لهـذه المرحلـة يحتـاج إلى عمليـة غسـيل جماعيـة للعقـل العـربي الإسـلامي تمحـي كل تاريـخ الـصراع العـربي "الإسرائيـلي"، إلى جانب أنها تسـتلزم إعـادة هيكلة للعديد من المُسـلّمات الدينية والثقافيـة مـما يجعلهـا مهمـة صعبـة إن لم تكن مسـتحيلة.

مخاطر التطبيع مع كيان العدو "الإسرائيلي"

تتعدد المخاطر الناتجة عن عملية التطبيع العربي "الإسرائيلي" على الأمن القومي العربي ككل كما يلي:

المخاطر السياسية:

تتعدد المخاطر السياسية الناتجة عن عملية التطبيع، حيث سيؤدي التطبيع إلى انقسام الموقف العربي وعدم وجود رؤية موحدة بين الدول العربية بشأن التطبيع، فمنهم من يرى أن التطبيع مع "إسرائيل" ما هو إلا حماية لمصالح وأمن الدولة المُطبعة والمثال الأبرز على ذلك يتجسد في البحرين والإمارات الذين كما سبق وأشرنا في إطار حديثنا عن أن التطبيع الإماراتي والبحريني مع "إسرائيل" كان يمثل حائط صد وحماية من التهديد الإيراني الوهمي الذي تروج له "إسرائيل".

أما على الجانب الآخر فهناك من يرى أن هذا التطبيع خيانة للعروبة وخذلان للفلسطينيين والقضية الفلسطينية برمتها وتأتي الجزائر واليمن على رأس هذه الدول.

ومن المخاطر السياسية للتطبيع أيضاً تتمثل في أن التطبيع يساعد "إسرائيل" على تحييد القضية الفلسطينية كأحد أهم المحددات للعلاقات العربية "الإسرائيلية"، وظهر ذلك الأمر بشكل واضح في الأحداث الأخيرة التي تلت عملية "طوفان الأقصى" بعد أحداث السابع من أكتوبر وما تلاه من هجوم غاشم على قطاع غزة، فكان الموقف العربي للدول المطبعة محايداً تماماً ولم يتخذوا أي إجراء لسحب السفراء أو قطع العلاقات أو حتى التهديد، وهذا يُظهر نجاح "إسرائيل" في تحييد هذه الدول عما يحدث داخل الأراضي الفلسطينية.

كما أن عملية التطبيع جعلت الدول العربية المُطبعة وغير المُطبعة تختلف في نظرتها لمن هو العدو أو الخصم، فالدول غير المُطبعة أغلبهم ينظر لـ"إسرائيل" على أنها العدو الأول، أما الدول المُطبعة فـ"إسرائيل" نجحت في إبراز إيران كالعدو الأول بالنسبة لهم وليس "إسرائيل".

كما أن التطبيع يساهم في فقدان الدول العربية الوطنية صاحبة الثقل السياسي على مر العصور كمصر والسعودية لدورها الإقليمي ويحل محلها دول عربية أخرى متحالفة

مع الحكومات اليمينية "الإسرائيلية" والتي تحاول جاهدة ألا تخالف المصالح الأمريكية "الإسرائيلية" في المنطقة، وهو ما يهدد المكانة الإقليمية لهذه الدول والذي سوف يترتب عليه فقدان هذه الدول القدرة على التأثير على دول المنطقة.

المخاطر العسكرية والأمنية:

تتمثل المخاطر العسكرية والأمنية الناتجة عن عملية التطبيع في تحويل الخوف الرئيسي لدى الدول العربية من الخطر الإيراني وليس من الكيان "الإسرائيلي"، والعمل على زيادة حدة التدهور في العلاقات بين الطرفين الإيراني والعربي، بالإضافة إلى أن ظهور "إسرائيل" كأقوى طرف في المنطقة العربية عسكرياً وأمنياً وامتلاكها للمعدات العسكرية والقدرات والإمكانيات العسكرية بشكل أكبر من دول الخليج العربي يعد تهديداً للدول العربية في حالة أي توتر للعلاقات بين الأطراف العربية و"الإسرائيلية"، وكذلك يتهدد الأمن القومي العربي من خلال انكشافه أمام الطرف "الإسرائيلي" الناتج عن التبادل التكنولوجي والتقني بين الطرفين وخاصة في مجال الأمن الإلكتروني (السيبراني) والمجال الاستخباراتي.

وكذلك تطبيع بعض الدول العربية يمثل تهديداً للأمن القومي للدول العربية المجاورة لها مثل تطبيع المغرب مع "إسرائيل" الذي يشكل تهديداً على الأمن القومي الجزائري وخاصة في ظل وجود صراع بين الدولتين على منطقة الصحراء الغربية وأحياناً يصل الأمر لاشتباكات عسكرية، أي أن "إسرائيل" تهدف لزيادة عمر النزاع في الصحراء الغربية.

كذلك في حالة تطبيع السودان مع "إسرائيل" فإنه يشكل تهديداً على الأمن القومي المصري حيث أن "إسرائيل" كانت تهدف من التطبيع للسيطرة على منابع ومجرى نهر النيل الذي يمد مصر والسودان بالمياه كمصدر أساسي.

المخاطر الاقتصادية:

إن المخاطر الاقتصادية للتطبيع العربي "الإسرائيلي" تتمثل في قدرة الكيان "الإسرائيلي" على اختراق البنى والهياكل الاقتصادية والسياحية وبالأخص للدول المُطبعة بشكل أكبر من

قـدرة الـدول العربيـة عـلى اختراقهـا بالنسـبة للطـرف "الإسرائيـلي"، إلى جانب إعطـاء الفرصة للكيـان "الإسرائيلي" للاندماج في أسـواق الشرق الأوسـط مما يسـاهم تدريجيـاً في إتاحة فرصة لـ"إسرائيـل" لتسـيطر عـلى السـوق في الـشرق الأوسـط وتنافـس بـه أسـواق اقتصاديـة إقليميـة ودوليـة أخرى.

كذلـك إتاحـة الفرصـة للكيـان "الإسرائيـلي" من الاسـتفادة من المـوارد والـثروات الاقتصادية في الوطـن العـربي واسـتنزافها تدريجيـاً إلى أن تقوم "إسرائيـل" باحتكار المجـال الاقتصادي في الوطـن العـربي وبالأخـص في منطقة الخليـج العربي.

المخاطر الثقافية والفكرية:

تتمثـل المخاطـر الثقافيـة والفكريـة من عمليـة التطبيـع في أن تلك العملية تسـاهم في إنهاء فكـرة العروبـة أو تهميشـها في مقابـل إعطـاء الأولوية لعمليـة التطبيع مع الكيـان "الإسرائيلي" لتحقيـق مصالـح معينـة، وذلـك يتناقـض تمامـاً مـع مبـدأ العمـل العـربي المشـترك ضـد كل ما يشـكل تهديـداً عـلى أمـن الوطـن العـربي وأي دولـة به، وكذلـك يسـاعد في تحول الفكـر المتعلق بـأن "إسرائيـل" هـي العـدو والمحتـل إلى كونها الصديـق والحليف، بينـما الجمهورية الإسـلامية الإيرانيـة هي العـدو الأول.

موقف المشروع القرآني من التطبيع مع العدو "الإسرائيلي"

يتميّـز المـشروع القـرآني منذ انطلاقته الأولى على يد الشـهيد القائد السـيد حسـين بدرالدين الحـوثي رضـوان الله عليه، بجعله القضية الفلسـطينية هي القضية المركزيـة في أدبياته النظرية ومنطلقاتـه وتوجهاتـه العمليـة، وبالتـالي فالموقـف القـرآني للمسـيرة القرآنيـة مـن التطبيـع مع العـدو "الإسرائيـلي" هـو الموقـف الثابت والمتجـذّر في ضمير كل حرّ ، وهو الموقـف العدل، الموقف الـذي أمرنـا اللـه سـبحانه وتعـالى أن نتخذه وأرشـدنا باتباعـه في مواجهة اليهـود ، وهو الموقف الـذي يجـب أن تقفـه الأمـة الإسـلامية اليـوم في مواجهـة عدوهـا ، والموقـف الـذي يحقـق لهـا عزتهـا ورفعتهـا ، ويحقق أمنها واسـتقرارها وسـلامتها.

فالموقـف القـرآني مـن التطبيـع هـو الموقف الوحيد الـذي يحصّن الأمة ويمنعهـا من الإنزلاق إلى حضـن عدوهـا، ويحميها مـن شرور التماهي مع العدوّ تحت أي مسـمّى.

ولا يمكـن للأمـة أن تكـون قويـة في مواجهـة عدوهـا اليـوم، إلا إذا تمسـكت بالموقـف القرآني الواضـح مـن عدوهـا، ففيـه مـن التوجيهـات الربانيـة التـي تتحطـم وتتبخـر عندهـا كل مكائـد العـدو ، والإنحـراف عـن الموقـف القـرآني في مواجهـة اليهـود ، يسـبب للأمـة الضيـاع والتشـتت والضعـف ، ويجعلهـا لقمـة سـائغة في فـم عدوها اليهودي، ليشـيع فيها المفاسـد ويقتل ويتسـلط عـلى النـاس و يعلـن في الأرض الفسـاد ، ويحيـد النـاس عـن عبـادة رب العبـاد ،

في هـذه الجزئيـة مـن الورقـة البحثيـة سـنسرد الموقـف القـرآني مـن التطبيـع مـع العـدو "الإسرائيـلي" مستشـهدين عـلى ذلـك بـدروس ومحـاضرات الشـهيد القائـد مؤسـس المـشروع القـرآني السـيد حسـين -رضـوان الله عليـه- وبخطابات ومحاضرات قائد المسـيرة القرآنية السـيد عبدالملـك بدرالدين-حفظـه اللـه- المُتَرْجمـة الفعلية للموقـف القرآني من التطبيـع، والذي يعتبر التطبيـع في سـياق المـوالاة لليهـود الذي حذر الله منها المسـلمين كثيراً في القـران الكريم، نتيجة لمـا سـيُلحقه التطبيـع مـن تبعـات تسـوق الأمـة إلى المخاطر .

موقف المشروع القرآني من التطبيع
في دروس ومحاضرات الشهيد القائد "رضوان الله عليه"

يأتي موقف المشروع القرآني من التطبيع في سياق الربط بين القضية الفلسطينية وسلسلة الأحداث الجارية في فلسطين والمنطقة، وما يتصل بها من أحداث عالمية.

كانت محاضرة "يوم القدس العالمي" هي أولى المحاضرات في هذه السلسلة مع أن الشهيد القائد كان محاضرا من قبل ذلك وله الكثير من المحاضرات، ولكن المحاضرات التي تعد المنظومة الثقافية في إطار المشروع القرآني تبدأ من محاضرة "يوم القدس العالمي"، وقد تحدث الشهيد القائد بنفسه عن ذلك في الدرس الرابع من دروس رمضان، وأشار إلى أن محاضرة يوم القدس هي أول المحاضرات في سياق المشروع، والذي نريد أن نقوله أن انطلاق هذه المسيرة القرآنية في يوم القدس العالمي بما تمثله من زخم كبير جدا الآن في مواجهة المشروع الأمريكي و"الإسرائيلي" لهو في حد ذاته مظهر يدل على اهتمام المسيرة القرآنية الكبير جداً بالقضية الفلسطينية على مستوى الوعي والفكر، وأن القضية الفلسطينية أساس تحرك المسيرة القرآنية وفق الرؤية الأوسع والأشمل للمشروع القرآني في معالجة أسباب انحطاط الأمة المتمثل في الضلال بشكل عام وليس فقط معالجة مظاهر الضلال التي يُعدّ التخلّي عن قضية فلسطين أبرز هذه المظاهر.

منذُ انطلاقة المسيرة القرأنية انتهجت الدفاع عن القضية من خلال إحياء الشهيد القائد السيد حسين يوم القدس العالمي لدعم القضية الفلسطينية حيث أكد السيد حسين ان القضية الفلسطينية هي قضية الامة وليست قضية فلسطينية فقط، وحذر في كثير من المحاضرات من تولي اليهود وما يسمى اليوم بالتطبيع وحذر الأنظمة من الانصياع للنفوذ الامريكي الذي يهيئ الساحة العربية للتطبيع وكسر شوكة الحركات المعادية لـ"إسرائيل"، وهذا ما يجري اليوم من تطبيع، وهو ما حذر منه الشهيد القائد السيد حسين سلام الله عليه.

تدافعت الأحداث فلسطينياً وعينيّ الشهيد القائد ترقب بعينٍ على الأحداث وعين على القرآن محذراً من الاستسلام لليهود تحت مسمى السلام، ومتسائلاً عما حققه الجانب الفلسطيني والعربي من اتفاقات أوسلو وكامب ديفيد ووادي عربة التي رعاها الأمريكان

وما كان مصير الرئيس عرفات وكيف تعامل معه العدو بعد السلام المزعوم وتخاذل العرب في دعم انتفاضات الشعب الفلسطيني وضرب "إسرائيل" بكل قرارات الأمم المتحدة عرض الحائط.

يبرز الاهتمام بالقضية الفلسطينية والتحذير من اليهود وخطورتهم في منظومة الثقافة القرآنية بشكل عام في كل الدروس كما سبق الإشارة إليه، ولكن فلسطين تحضر باعتبارها الموضوع الرئيسي والأساس لبعض المحاضرات والدروس وهي كأمثلة:

- محاضرة "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى": وهذه المحاضرة من العنوان تشير إلى خطورة اليهود وهم لا سواهم من يحتلون فلسطين.
- محاضرة "الإرهاب والسلام" وفيها يتحدث الشهيد القائد عن معركة صراع المصطلحات والمفاهيم، ويفنِّد التضليل الغربي في كلا المفهومين مفهوم الإرهاب الذي يتجه الغرب لدمغ المسلمين به ومفهوم السلام (التطبيع) الذي يحاول اليهود تدجين المسلمين تحت عنوانه.
- محاضرة "لتحذن حذو بني إسرائيل" وهذه المحاضرة تعطي من خلال العنوان انطباعاً بأن واقع المسلمين اليوم هو شديد التأثر باليهود وهو عميق الصلة بموضوع المواجهة وبالقضية.
- محاضرة "يوم القدس العالمي" وتعتبر أول محاضرات المشروع القرآني وارتباطها بالقضية الفلسطينية واضح.
- محاضرة "الشعار سلاح وموقف" وقد ألقاها الشهيد القائد كتقييم مرحلة عام من إطلاق الشعار في المساجد والأثر الذي أحدثه هذا الشعار كموقف في مواجهة العدو الإسرائيلي ومشاريعه التي يستهدف بها الأمة.
- دروس "من هدي القرآن الكريم" التي ألقاها الشهيد القائد في الرمضان الأخير في حياته المباركة، والذي استعرض فيه عدة سور من القرآن الكريم وبالتحديد سور البقرة وآل عمران والمائدة، والتي تطرق فيها إلى مضامين عميقة جدا في تحليل نفسية بني إسرائيل واليهود ومواجهتهم، وحالة الأمة الراهنة، وسبل الخروج بها من هذا الواقع، والكثير من المفاهيم العميقة بما لا يتسع المجال للإشارة إليه فضلاً عن الإحاطة به.

الموقف القرآني من التطبيع
في محاضرات السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي "حفظه الله"

تبرز محاضرات السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي ذات الصلة بالقضية كجزء أساسي في المنظومة الفكرية والثقافية في المسيرة القرآنية، وهي تتحدث عن الواقع وتواكبه على ضوء القرآن الكريم، وقد ألقى السيد عبد الملك بدر الدين في كل مناسبات يوم القدس العالمي الماضية منذ العام 2008 محاضرات في كل شهر رمضان عندما تحين ذكرى يوم القدس العالمي عدا عام 2009 رمضان 1430هـ حيث لم يلقِ السيد عبد الملك محاضرة في يوم القدس العالمي بسبب ظروف الحرب السادسة، وفي كل هذه المحاضرات يثري السيد عبد الملك الموضوع بالحديث عن الجانب الفكري للصراع والمواجهة مع اليهود وظواهر ومستجدات ما يحدث على الساحة الفلسطينية والمواكبة بالتنوير والتحليل للأحداث.

كما أن محاضرات السيد عبد الملك بدر الدين السنوية في ذكرى المولد النبوي الشريف منذ عام 2007 والتي يتحدث فيها السيد إلى أوسع جماهير ممكنة من حملة المشروع القرآني والتي تعطي بصيرة واسعة فيما يتعلق بالصراع مع العدو بشكل عام، ولا تغيب القضية الفلسطينية عن الخطاب، بل إنها تحضر في العمق باستمرار، كما أن محاضرات السيد عبد الملك الخاصة بمستجدات الأحداث على الساحة الفلسطينية هي أيضا جزء من المنظومة الثقافية والخلفية الفكرية للمسيرة القرآنية.

وفي كلمة للسيد القائد عبدالملك بدرالدين الحوثي بمناسبة الذكرى السنوية للصرخة في وجه المستكبرين 1444هـ ، اعتبر مسار التطبيع مع العدو الصهيوني، الذي أعلنته البعض من البلدان العربية، فضيحة كبرى، وخطوةً خائبة، خاسرة، بكل الاعتبارات، وقال **"البعض تصوروا أنهم من خلال التطبيع ضمنوا مستقبلهم، وحلوا مشاكلهم، وأمَّنوا أنفسهم، وثبتوا سلطتهم، هكذا هي النظرة الغبية التي تنسى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، هذا هو حال المنافقين الذين قال عنهم الله في القرآن: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ }[المجادلة: من الآية 19]، قال عنهم: {نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ }[التوبة: من الآية 67]، هم ينظرون إلى العدو أنه كل شيء، وأن بيده كل شيء، وأنهم إذا رتبوا أمورهم مع العدو استرضاءً له، وطاعةً له، واتجاهًا وِفق أوامره، أنهم أمنوا، وضمنوا مستقبلهم، وضمنوا**

مصالحهـم، ولكـن الواقـع يكشـف عكس ذلـك، حتـى في واقعهم هم".

وأردف بالقـول **"في إطـار هـذه المتغـيرات، التـي اتجـه فيهـا البعـض نحـو التطبيـع، ويسـتمرون بتوجهاتهـم الموالـيـة لأمريـكا، المطبعـة مع العـدو الصهيوني، بالرغـم من أنهم يدركـون طبيعـة هـذه المتغـيرات ومؤشراتهـا الواضحـة عالميًـا".**

وفي كلمـة أخـرى أكد السـيد القائـد أن التحالف مع العـدو الإسرائيلي تحت عنـوان التطبيع.. حالـة ارتـدادٍ عـن الثوابـت الواضحـة، و أن التطبيـع مع الكيان الذي يشـكِّل خطراً على المسـلمين جميعـاً، لا يقتـصر خطـره وشره وضره عـلى بقعـة فلسـطين، والأجـزاء العربيـة التـي اسـتولى عليهـا مـن الـدول المجاورة لفلسـطين، ضره وخطره شـامل.

وتابـع القـول : **"يفـترض أن يكـون موقـف الأمـة تجاهـه، وتجـاه القضيـة التـي هـي واضحـةٌ جـدًا لا التبـاس فيهـا لـدى الجميـع، ومحـل إقـرارٍ قـد سـبق مـن الـكل، عـن أنـه عـدو، وأنَّ الموقـف الصحيـح منـه هـو التحـرك ضـده، وأنَّ الشـعب الفلسـطيني جـزءٌ مـن الأمـة، وفلسـطين وطـنٌ وبلـدٌ مـن بلـدان الأمـة الإسـلامية، فالموقـف الصحيـح، الموقـف الطبيعـي، الموقـف الحـق هـو واضـح، لا التبـاس فيه أصـلاً، والذين يرتدون عنـه إلى تبني مواقـف مختلفـة، متباينـة، تتحالـف مـع العـدو الإسرائيـلي تحت عنـوان التطبيـع، توالي العـدو الإسرائيـلي، هـم في حالة ارتدادٍ عـن الثوابت الواضحـة، والحقائـق الواضحة، التي سـبق أن كانـوا هـم مـن يعترفون بهـا فيما مضى، وقـد يتظاهـرون في بعض الأحيـان أنهم يتعاطفـون مـع الشـعب الفلسـطيني، أنهـم ضمن الأمـة في موقفهـا العام المعلـن، في مراحل كثـيرة مـما قـد مضى".**

وذكـر أن الانحـراف نحـو الـولاء للعـدو الإسرائيـلي والتأثـر به، بـين من لديهـم نقص كبير في استشـعار المسـؤولية، وتقـوى اللـه "سـبحانه وتعـالى"، وإدراك خطـورة التفريـط، والإهـمال، والتقصـير، يجعـل الكثـير مـن النـاس مـع مـا يعيشـه عالمنـا الإسـلامي من ضغـطٍ كبـير، وراؤه أعداؤنـا مـن اللوبي اليهـودي الصهيوني العالمـي، والعدو الإسرائيلي، في كثيرٍ من المشـاكل والفتن والأزمـات، الضاغطـة، المشوشـة لذهنيـة الكثـير، والتـي تهـدف إلى زعزعـة كيـان هـذه الأمـة، ألَّا تكـون أمـةً مسـتقرة، بـل أن تكون في وضعيةٍ مضطربةٍ بشـكلٍ دائم، ومضغوطةٍ بشـكلٍ مسـتمر، وأن تتحقـق للعـدو مـن خـلال طبيعة المؤامـرات، الفتن التي يخطـط لها، الأزمات التي يسـتثمر

فيها ويفاقم منها، المشاكل التي يغذيها ويدرس كيف يستفيد منها، كل هذا أراد منه العدو أن يحقق له أهدافه الرئيسية: في إضعاف هذه الأمة، في تشتيتها، في بعثرتها، في إفقادها كل عناصر القوة المعنوية، والعملية، والإيمانية، والمادية، وصولاً إلى السيطرة التامة عليها، والاستغلال التام لها، في واقعٍ سيء، سيطرة من واقعٍ عدائي، بدافعٍ عدائي، يريد لهذه الأمة أن تكون- وهو مسيطرٌ عليها- في وضعية سيئة جدًّا.

وأوضح السيد القائد أن التطبيع مع العدو الإسرائيلي يجعل الناس يدخلون في حالة من الغفلة فيغفلون عن واجباتهم، عن مسؤولياتهم، تجاه الخطر الإسرائيلي على المسلمين جميعاً، الخطر الذي مصدره اللوبي الصهيوني العالمي، الذي يتحرك على نطاق واسع، من خلال أمريكا، من خلال بريطانيا، من خلال دول غربية تنفذ سياساته، تتحرك وفق مؤامراته.

وهذه الغفلة والتجاهل لدى الكثير من أبناء الأمة، هي مصدر ضررٍ على الأمة نفسها؛ لأنها لا تجدي شيئاً، لا تجدي شيئاً لا في دفع الشر، ولا في دفع الخطر عن الأمة، ولا تعفي من المسؤولية، لو كانت حالة الغفلة والتجاهل، وعدم الاهتمام بما علينا أن نقوم به، بما علينا أن نهتم به، تنفعنا بشيء، لكانت قد نفعت المسلمين إلى أقصى حد؛ لأنها السمة الغالبة في واقع العالم الإسلامي، في واقع الشعوب، ولكان واقع الأمة قد صلح إلى أقصى حد، لو كانت تفيد شيئاً، لكن الواقع يثبت أنها تخدم الأعداء، تضر بالأمة، وتفيد أعداء الأمة، تفيد اليهود، اللوبي الصهيوني العالمي، تفيد العدو الإسرائيلي، تفيد الأعداء بشكلٍ عام؛ لأنهم يتمكنون من العمل على تنفيذ مؤامراتهم ومخططاتهم في داخل الأمة، وهي في وضعية ليست في حالة استعداد، في حالة تصدٍ، في حالة ردة فعلٍ لمواجهة ذلك الخطر، بل الكل في وضعية جامدة، راكدة، بيئة مفتوحة، مسرح مفتوح، تنجح فيه المخططات، تنجح فيه المؤامرات.

واعتبار التطبيع خيانة للامة وصفقة ترامب فضيحة تهدف لتصفية القضية الفلسطينية وخرج الشعب اليمني منددا بهما ومازالت مواقف المسيرة القرانية مستمرة للتنديد بالمطبعين و طابور المنتظرين للولوج إلى خانة الخيانة للأمة.

تداعيات عملية "طوفان الأقصى" على مسار التطبيع

في لحظـة حاسـمة مـن التاريـخ وبعمـق اسـتراتيجي لا يُضاهـى، اسـتيقظ العـالم عـلى وقـع عمليـة "طوفـان الأقـصى" التـي أذهلت الجميـع بجرأتها وتأثيرهـا، وبلغت هذه العملية مستوى لم يكـن متوقعـاً، حيـث كشـفت عـن هشاشـة الجيـش الإسرائيـلي بصـورة لم يتخيلهـا الكثيرون، ربمـا حتـى منظمـو العمليـة لم يتوقعـوا الانعكاسـات الكبـيرة التي أفرزتهـا، والتداعيـات الكبيرة التـي أنتجتهـا عـلى مسـتويات عـدّة، أبرزها عـلى المسـتوى السـياسي والاقتصادي والعسـكري.

أ- التداعيات السياسية

لقـد شـكل "طوفـان الأقـصى" منعطفـا تاريخيا لصالـح القضية الفلسـطينية و قلـب الموازين وغـيّر الاسـتراتيجيات الأمريكيـة والإسرائيلية وضرب مشروع التطبيع الـذي خططت له أمريكا وإسرائيـل لعقـود مـن الزمـن، دخـل يـوم 7 أكتوبـر 2023 التاريـخ، ليـس فقـط بسـبب طابعـه العسـكري مـن خـلال الهجـمات التـي شـنتها المقاومة الفلسـطينية ضـد المحتـل "الإسرائيلي"، بل بسـبب إعـادة القضيـة الفلسـطينية إلى الواجهـة بشـكل شـكّل سـابقة في العلاقـات الدوليـة، وكل هـذا أربـك دبلوماسـية الكيـان، لا سـيما بعدمـا وجـد نفسـه أمـام المحكمـة الدوليـة بتهمـة حرب الإبـادة ومنبـوذاً مـن طـرف الـرأي العام العالمـي باسـتثناء الحكومـات الغربية.

لقـد غـيرّت معركـة "طوفـان الأقـصى" مسـتقبل مـشروع التطبيـع مـع الصهاينـة، ووضعتـه أمـام حقيقـة مفضوحـة كشـفت هشاشـته وضعفـه، إلى جانـب حقيقة وجـوده ككيـان محتل على أرض عربيـة إسـلامية، ووضعـت الأنظمـة العربيـة التـي كانـت تسـارع إلى التطبيـع معـه في إحـراج شـديد ، إذ وضعتهـا أمـام استمرارية الـصراع مع عدوهـا وأنه لا يمكن تحقيق السـلام أو التسـامح معـه أبداً.

ورسـمت العمليـة تداعيـات إيجابية فلسـطينياً تمثلت في تعزيز موقـع حركة حماس وتصاعد قـوة محـور المقاومـة، وفي المقابـل، أدت العملية إلى تداعيات سـلبية على الكيـان الصهيوني، منها تـآكل الـردع الإسرائيـلي، انهيـار الثقة بالجيش الإسرائيلي واسـتخباراته، وتغيير المشـهد السـياسي الإسرائيلي الداخلي،

موقف الأنظمة العربية المطبعة من عملية "طوفان الأقصى"

عقب عملية "طوفان الأقصى" برزت مواقف متعددة وردود فعل كثيرة نتيجةً لقوة حدوثها الكبير، وبرزت تلك المواقف بين مؤيد ومعارض للعملية ، إلا أن الأعين كانت مركزة على تلك الأنظمة التي المطبعة مع "الإسرائيلي" في مواقفها المختلفة ، وقد يكون ما يحدث في الخفاء عكس ما أظهره الإعلام ،لكن بعض الأنظمة المطبعة قد يكون الخوف من تأثير الشارع هو سبباً في تراجع موقفها المطبع مثل الأردن ، لكن تلك المواقف برزت بعد تزايد الإجرام الصهيوني بحق أبناء غزة وتعاظم الغضب الشعبي في تلك الدول ومع تزايد الإجرام تزداد تلك المواقف.

سنسرد هُنا أبرز تلك المواقف من الأنظمة المطبعة كمصر والأردن والمغرب وأنظمة حديثة التطبيع مثل الإمارات والسعودية والبحرين.

الأردن: ارتكز موقفها في الأسابيع الثلاثة الأولى على خطاب التنديد والدعوة لوقف التصعيد ورفض تهجير الفلسطينيين من أراضيهم، ثم تقدمت بمشروع قرار للأمم المتحدة لوقف إطلاق النار، تمت الموافقة عليه يوم 27 أكتوبر ولم ينفذ بطبيعة الحال بعد فشل مشروع القرار الذي قدمته الأردن باسم المجموعة العربية في الأمم المتحدة فعليًا، وعدم التزام "إسرائيل" به بالرغم من الموافقة عليه.

اتخذت الأردن إجراءات تصعيدية ملموسة تجاه "إسرائيل"، فقامت يوم الأربعاء 1 نوفمبر باستدعاء سفيرها من تل أبيب تعبيراً عما وصفته بـ"الموقف الرافض والمدين للحرب "الإسرائيلية" المستعرة على غزة، والتي تقتل الأبرياء، وتسبب كارثة إنسانية غير مسبوقة.

واتهم وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي "إسرائيل" بـ "دفع المنطقة كلها إلى هاوية حرب إقليمية"، مضيفا أن "هذه الحرب سيكون لها انعكاسات خطيرة ليس فقط على المنطقة، بل على العالم برمته، لذا على العالم كله أن يتحرك فورا للجم هذه العدوانية لأن الدمار سيطال الأمن والسلم الدوليين".

و صرح وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي بعد عملية "طوفان الأقصى" وتوتر العلاقات بأن بلاده لا تعتقد أن إلغاء اتفاق السلام مع "إسرائيل" الموقع في العام 1994 "يخدم فلسطين والأردن" رغم تأكيده أن الاتفاقية "باتت وثيقة يملأها التراب".

وتساءل الصفدي: "هل إلغاء اتفاقية السلام يخدم فلسطين ويخدم الأردن، نحن لا نعتقد ذلك، من يريد إلغاء اتفاقية السلام الآن هم المتطرفون الإسرائيليون ليتنصلوا بالتالي من كل الالتزامات".

وأضاف الوزير الأردني "بالنسبة لنا في المملكة، اتفاقية السلام موجودة منذ عقود ووُظّفت لخدمة الشعب الفلسطيني. وبموجب هذه الاتفاقية استعدنا أراضي محتلة وثبتنا مواقف سياسية واضحة لنصرة الشعب الفلسطيني". حسب تعبيره.

الموقف المصري: أما القاهرة التي كانت أول المطبعين العرب مع "إسرائيل" فمن خلال رصد السلوك المصري في إدارة الموقف من معركة "طوفان الأقصى"، يمكن الوقوف على الملامح التالية على صعيد الموقف السياسي.

- نجد أن مصر حذرت في بيان وزارة الخارجية يوم 7 أكتوبر من تداعيات "التصعيد"، وحثت على ضبط النفس، داعية المجتمع الدولي إلى "حث إسرائيل على وقف الاعتداءات ضد الشعب الفلسطيني"، كما أعلنت الخارجية المصرية في بيان آخر إجراء وزيرها سامح شكري "اتصالات مع مسؤولين دوليين لوقف التصعيد بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي".
- التزمت مصر بسقف القمة العربية والإسلامية المشتركة التي انعقدت في الرياض في 2023/11/11 وطالبت بإنهاء العدوان "الإسرائيلي" على قطاع غزة ووقف إطلاق النار والسماح بإدخال المساعدات، دون أن تضع آليات لمتابعة تنفيذ قراراتها.
- أكد المجلس المصري للشئون الخارجية أن عملية "طوفان الأقصى" هي نتيجة منطقية للوجود "الإسرائيلي" غير الشرعي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وسياساته التي انطوت على تمييز عنصري صارخ، واغتصاب للأراضي بدون حق، وزحفٍ استيطاني مجحف، حرم الفلسطينيين من حقوقهم الأساسية وسط أوضاعٍ معيشية بالغة الصعوبة، ليس بوسع إنسانٍ تحمُّلها.

موقف المملكة العربية السعودية: كانت السعودية على شفا تطبيع علاقاتها مع "إسرائيل" بعد فترة طويلة من المحاولات الأمريكية والتي كادت أن تكلل بالتمام لولا عملية "طوفان الأقصى"، المفاجئة، الأمر الذي قلب موازين المعادلة وأربك المشهد وجعله الآن أكثر تعقيدًا.

وعلى صعيد موقفها صرحت وزارة الخارجية السعودية في يوم 7 أكتوبر -أول أيام الحرب- قائلة: "تتابع المملكة من كثب تطورات الأوضاع غير المسبوقة بين عدد من الفصائل الفلسطينية وقوات الاحتلال الإسرائيلي، مما نتج عنها ارتفاع مستوى العنف الدائر في عدد من الجبهات هناك". كما دعت إلى "الوقف الفوري للتصعيد بين الجانبين، وحماية المدنيين وضبط النفس"، وكذلك دعت المجتمع الدولي لتفعيل عملية سلمية ذات مصداقية تفضي إلى حل الدولتين.

وفي 13 أكتوبر وبعد دعوة "إسرائيل" الفلسطينيين القاطنين شمال غزة إلى مغادرتها نحو وسط وجنوب القطاع، وهو ما اعتبر دعوة لتهجير الفلسطينيين من أراضيهم، أصدرت وزارة الخارجية السعودية بياناً أكدت فيه رفضها القاطع لدعوات التهجير القسري للشعب الفلسطيني من غزة، وجددت مطالبتها للمجتمع الدولي بسرعة التحرك لوقف كافة أشكال التصعيد العسكري ضد المدنيين، ولعل ما اختلف في هذا البيان على مستوى لغة الخطاب، هو استخدامه عبارة " الأشقاء في غزة" حينما طالب برفع الحصار عنهم وإجلاء المصابين المدنيين.

وأخيراً فقد تداولت بعض وكالات الأنباء أن السعودية قررت تعليق المحادثات حول التطبيع المحتمل مع "إسرائيل" وأبلغت ذلك للمسؤولين الأميركيين الذين يقومون برعاية المباحثات، وكانت مؤشرات التقارب بين البلدين لاحت في سماء دبلوماسية الرياض وتل أبيب قبل نحو عام، عندما صرح ولي العهد بأن التطبيع مع "إسرائيل" "يقترب كل يوم أكثر فأكثر"، كما أكد رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامين نتنياهو حينها من على منبر الأمم المتحدة أن بلاده على "عتبة" إقامة علاقات مع السعودية.

موقف دول حديثة التطبيع مع العدو: يضم هذا الموقف ثلاث دول هي: الإمارات والبحرين والمغرب، وهي الدول التي أبدت موقفاً محايداً يرسّخ موقفها المتصهين من القضية الفلسطينية.

صرحت وزارة الخارجية الإماراتية في بيان لها يوم 7أكتوبر عن: "قلق بلادها الشديد إزاء تصاعد العنف بين الإسرائيليين والفلسطينيين"، وشددت على "ضرورة وقف التصعيد، والحفاظ على أرواح المدنيين"، مقدمة "خالص التعازي لجميع الضحايا الذين سقطوا جراء أعمال القتال الأخيرة".

وفي بيان آخر دعت وزارة الخارجية الإماراتية إلى حماية المدنيين وشددت على أن الأولوية العاجلة هي إنهاء العنف وحماية المدنيين. كما شددت الخارجية الإماراتية على أن الهجمات التي تشنها حركة حماس ضد المدن والقرى "الإسرائيلية" القريبة من قطاع غزة، بما في ذلك إطلاق آلاف الصواريخ على التجمعات السكانية، تشكل تصعيدًا خطيراً وجسيماً، ووصفته هجوماً إرهابياً، وأعربت كذلك عن استيائها الشديد إزاء التقارير التي تفيد باختطاف مدنيين "إسرائيليين" من منازلهم كرهائن، وأكدت على ضرورة أن ينعم المدنيون من كلا الجانبين بالحماية الكاملة بموجب القانون الإنساني الدولي، وضرورة ألا يكونوا هدفا للصراع.

وهكذا - بحسب رؤية النظام الإماراتي- فإن ما حدث هو مجرد أعمال عنف، كما أن المستوطنات هى مجرد تجمعات سكنية، والمستوطنون هم مجرد مدنيون "إسرائيليون".

وفي ركاب الإمارات تأتي البحرين، والحق أنها لا تعد دولة ذات موقف مستقل في هذا الشأن، فقد صرحت وزارة الخارجية البحرينية في بيان لها على أنه من الضروري الوقف الفوري للقتال الدائر بين حركة حماس والقوات الإسرائيلية، كما استنكرت ما ورد في بعض التقارير عن اختطاف المدنيين من منازلهم كرهائن (في إشارة لأسر بعض المستوطنين)، وأعلنت أسفها البالغ للخسائر الكبيرة في الأرواح والممتلكات وتعازيها لأسر الضحايا، وتمنياتها للمصابين بالشفاء العاجل.

وعلى نقيض آخر قيل أن البحرين أعلنت طردها للسفير "الإسرائيلي" من المنامة، فقد أعلن مجلس النواب البحريني يوم الخميس الموافق 2 نوفمبر 2023 وقف المملكة علاقاتها الاقتصادية مع "إسرائيل" ومغادرة السفير "الإسرائيلي" المنامة وعودة السفير البحريني من تل أبيب.

من ناحية أخرى قالت الخارجية "الإسرائيلية" إنها لم تُبلغ من قبل حكومة البحرين أو الحكومة "الإسرائيلية" بأي قرار بسحب السفراء، وأضافت أن العلاقات بين البلدين مستقرة، على حد وصفها.

من جانبها أعلنت المغرب في بيان لها عن قلقها العميق جراء تدهور الأوضاع واندلاع الأعمال العسكرية في قطاع غزة، وأنها تدين استهداف المدنيين من أي جهة كانت.

كما ذكر بيان لوزارة الخارجية أن المملكة المغربية "طالما حذرت من تداعيات الانسداد السياسي على السلام في المنطقة، ومن مخاطر تزايد الاحتقان والتوتر نتيجة لذلك"، وأضاف البيان أن "نهج الحوار والمفاوضات يظل السبيل الوحيد للوصول إلى حل شامل ودائم للقضية الفلسطينية على أساس قرارات الشرعية الدولية ومبدأ حل الدولتين المتوافق عليه دوليًا"

وبعد أن تصاعد العدوان على غزة، طالبت المغرب في بيان لها بـ"ضرورة الوقف الفوري والمستدام والشامل لهذا العدوان غير المسبوق، والسماح بتدفق المساعدات الإنسانية في قطاع غزة بأكمله".

ودعا الأمين العام لحزب العدالة والتنمية المغربي المعارض عبدالإله بنكيران السبت 22 سبتمبر/ أيلول 2024 إلى إعادة النظر في اتفاق التطبيع بين بلاده و"إسرائيل"، معتبرا أنه "لم يعد له مبرر أخلاقي"، علما أن حزبه في شخص رئيس الوزراء السابق سعد الدين العثماني هو من أشرف على عملية التطبيع.

وعطلت الحرب في غزة مؤقتاً التقارب المغربي "الإسرائيلي" في عدة مجالات عسكرية وأمنية كبيع طائرات دون طيار وبرامج تجسس، وأخرى علمية وأكاديمية.

أما السودان وهو حديث التطبيع اقتصر الأمر في المواقف الرسمية السودانية على البيان اليتيم الذي أصدرته وزارة الخارجية في اليوم الأول من العملية، والذي لم يخرج عن المألوف والمكرر في المواقف الرسمية من "الإدانة وتجديد الدعم للحقوق المشروعة"، وليس متوقعاً من النظام أكثر من ذلك، باعتبار أن أجنحته العسكرية المقتتلة حالياً هي التي قادت، بمشاركة الشق المدني حينها، انخراط السودان في عملية التطبيع، أواخر العام 2020. حينها طرح رئيس الوزراء عبد الله حمدوك التماسًا خجولاً يرفض ربط تحسين السودان علاقاته مع أمريكا بمسار التطبيع، وبالرغم من أن هذا الموقف لم يكن مبدئياً تجاه مسألة التطبيع وإنما ارتبط بنطاق تفويض الحكومة حينها، إلا أنه -إذا اكتُرث له- كان يمكن أن يخلق مساحة للمناورة في العلاقة مع أمريكا.

المتغيرات في مواقف الشعوب العربية والإسلامية من التطبيع مع إسرائيل بعد عملية "طوفان الأقصى"

مـما لاشـك فيـه أن عمليـة "طوفـان الأقـصى" أنتجت متغـيرات في مواقـف الشـعوب العربية والإسـلامية نحـو التطبيـع، تلـك المتغـيرات هـي التـي غـيرت مـن مواقـف الأنظمـة المطبعـة مع العـدو الإسرائيـلي التي سـبق ذكرها سـلفاً، وتعد مواقف الشـعوب هـي المتغيرات الأهم التي سـوف تصنـع المفارقـات والمواقـف والاتجاهات.

أمـا موقـف الشـعوب مـن عمليـة التطبيع مـع العدو فهـي في إطار الرفـض التام منـذُ إعلان أول عمليـة تطبيـع معـه في آواخـر السـبعينيات ، وازداد الرفـض بعـد عملية "طوفـان الأقصى" ، خاصـة بعـد تزايـد الإجـرام الصهيوني بحـق أهل غزة ، ومـن هنا يمكن معرفـة أن تلك المتغيرات ليسـت بالجديـدة -إلا بمعيـار الكمّ- في معادلة العدوان "الإسرائيلي" بحق الفلسـطينيين، لاسـيما في غـزة التـي أصبحـت الحـرب عليها، منـذ 2008، تجري كأنهـا "جـولات"، إلا أن هنالك متغيراً جديـداً في هـذه "الجولـة" مـن الحرب على غـزة، هو كثافة الاحتجاج الشـعبي الرافـض للجرائم "الإسرائيليـة" الـذي ينتظـم، تقريبـاً، في أغلب دول العالم العربي والإسـلامي.

سـنركز في هـذه الجزئيـة على تلـك الاحتجاجات التـي تجري بالعالم العربي، وكيف انعكسـت رسـمياً في أشـكال عـدة أبرزهـا إغـلاق السـفارات ومكاتـب الاتصـال "الإسرائيليـة" في عـدد مـن الـدول العربيـة واسـتدعاء سـفرائها مـن "إسرائيل"، فضـلاً عن حمـلات المقاطعة.

تلـك المتغـيرات التـس رسـمتها الحركـة الاحتجاجيـة الشـعبية جـاءت كـرد عـلى العـدوان "الإسرائيـلي" عـلى غـزة، في إثر عمليـة "طوفان الأقصى"، وذلـك للدفع نحو مراجعـة اتجاهات التطبيـع مـع "إسرائيـل" في دول العـالم العـربي والإسـلامي، لاسـيما في الـدول المطبّعـة في عام 2020، ونركّـز تحديـداً في حـركات الرفـض والاحتجـاج الشـعبي الواسـعة التي اندلعـت بعدد من دول العـالم العـربي.

تـأتي الهبّـات الشـعبية للشـعوب العربية والإسـلامية بعد حوالي خمسـة عقود، منـذ آخر حرب في 1973، اتسـمت بتوظيـف القضيـة الفلسـطينية بواسـطة أنظمـة الحكم في الـدول العربية في معـادلات السـلطوية والقمـع الداخـلي، وبعـد عقـد كامـل مـن الإحبـاط تجـاه المواقـف الرسـمية

لأنظمـة مـا بعـد الربيع العـربي، "وشـعرت مجموعات فلسـطينية كبيرة بخيبة أمـل" في إمكانية تأثـير الربيـع العـربي في تغيـير مسـار القضية الفلسـطينية عبر مؤسسـة الدولة عـلى الأقل من قِبَـل الـدول المحيطة بفلسـطين كمصر وسـوريا.

أبعـد مـن ذلـك، انخرطـت مجموعـة مـن الـدول العربيـة بعـد الربيـع العـربي (الإمـارات، البحريـن، السـودان، والمغـرب) في موجـة جديـدة مـن تطبيـع علاقاتهـا مـع "إسرائيـل" ليعمـق ذلـك حالـة الخـذلان تلـك.

خرجـت الشـعوب في أغلـب دول العـالم العـربي رافضة غاضبـة جرائم الاحتـلال في غزة على إثـر عمليـة "طوفـان الأقـصى"، في صـور تذكّـر بالحشـود التـي مـلأت الشـوارع إبـان الثـورات الأخـيرة، ليعكـس هـذا الرفـض جانبـاً آخر من صورة هذا المشـهد القاتـم، وأبعد من ذلك لينسـج خيـوط التداخـل في مواجهـة الكيـان الإسرائيـلي وفي ضـوء عمليـة "طوفـان الأقـصى" وسـياق الحـرب الحاليـة عـلى غـزة، تعكـس الهبّـات الشـعبية الحاليـة في أغلـب البلـدان العربيـة ذلـك التداخـل، ولكـن في موقـع آخـر هـو الـدول العربيـة، وبشـكل لافـت في بعـض مـن تلـك التـي دخلـت أنظمـة الحكـم فيهـا في عمليـات تطبيـع علاقاتهـا مـع "إسرائيـل"، كالأردن والمغـرب، بما يعكـس فوقيـة مسـارات التطبيـع بهـذه البلاد.

بالنسـبة لمصر، فإن خلخلة مسـار التطبيع لا يبدو سـهل المنال على المسـتوى الرسـمي لرسـوخ علاقـات الدولـة المصريـة مـع الكيـان "الإسرائيلي" الممتدة لما يقارب الخمسـة عقود منـذ اتفاقية كامـب ديفيـد 1978، بالإضافـة إلى تقـدم نظام السـيسي خطوات في التنسـيق الأمني والعسـكري مـع "إسرائيل".

ولم تخـرج مواقـف النظـام المـصري طيلـة الحـروب السـابقة عـلى غزة عـن المعهـود عنه من الوسـاطة، إلا أن الحـرب الحاليـة رفعت مسـتوى منـاورة النظام المصري بمسـألة العامل الشـعبي في تحريـك مسـألة العلاقـة مـع "إسرائيـل": أولاً للضغـط عـلى حلفائـه مـن الـدول الغربيـة و"إسرائيـل" بعـد أن رشـح في السـطح خيـار تهجير الفلسـطينيين مـن قطاع غـزة نحو الأراضي المصريـة، وثانيًـا لاحتـواء الشـارع الـذي أدرك النظـام غليانـه، وبلـغ ذلك حـداً دفع السـيسي إلى الدعـوة إلى مظاهـرات في سـاحات محـددة بعـدد من المـدن، في محاولة لاسـتباق الهبّة الشـعبية بغيـة احتوائهـا وتوظيفها في تناقضات المشـهد السـياسي الداخلي فيما اصطلـح عليه بـ "تفويض

حماية الأمن القومي"، في محاولة لاستعادة التفويض الذي دعا له في 2013 عندما كان وزيرا للدفاع، ولكن الأمر لم يفت على جموع المتظاهرين الذين التقى في خروجهم كلا الأمرين: تعطشهم للتعبير في الفضاءات العامة وممارسة الاحتجاج، وغضبهم من الجرائم "الإسرائيلية" في غزة، وهو ما انعكس في شعارات الاحتجاج: "مظاهرتنا بجد.. مش تفويض لحد" و"تفويض إيه يا عم.. فلسطين أهم".

من المتغيرات التي شاهدناها هي مشاهد تدفق جموع المصريين التواقة لمعانقة ميدان التحرير من جديد، بعد أعوام من اعتباره أرضًا "ممنوعة من الاقتراب والتصوير" بواسطة السلطوية العسكرية الخانقة، تلك الأشواق وجدت متنفسها في حراك التضامن مع مأساة غزة الحالية، وكان هذا التضامن ملتحماً مع الشؤون المحلية، وهو ما انعكس في خطاب الهبة الشعبية وشعاراتها: "عيش، حرية، فلسطين عربية".

إن الحركة الاجتماعية الملتفة حول قضية مناهضة التطبيع في مصر أمام تحدي تطوير خطابها بحيث تحافظ على زخم القضية في الخطاب الوطني شعبيًا، الأمر الذي يمكن أن يحرز اختراق في ركود النضال الشعبي ضد السلطوية بفتح القضية وربطها بالقضايا المحلية في مواجهة القمع، وإثارة النقاش العام حول كافة قضايا حقوق الإنسان، بالإضافة إلى تحفيز النقاش، في سياق هذا الاحتجاج الموؤود، حول مسألة تهجير مجموعة من أهالي سيناء بوصفها قضية حقوقية وطنية وقضية تصب في مصلحة الاحتلال "الإسرائيلي"، وقضايا التضييق على العمل الإنساني الإغاثي للمنظمات الخيرية المصرية الذي يأتي في سياق التنسيق مع "إسرائيل" في إدارة المعابر، الأمر الذي يثير سؤال السيادة ومساءلة شرعية النظام بالحفاظ عليها، خصوصا في ظل خطاب التسليح وبناء قدرات مصر العسكرية التي ينتجها النظام المصري، وكل تلك القضايا هي قضايا مطروحة لدى قوى المعارضة المصرية عند نقدها للنظام، ولكنها تنتظر من الحركة المناهضة للتطبيع دمج قضية التضامن مع غزة في نسيجها بهدف الدفع إلى مواقف تتجاوز الموقف المصري الكلاسيكي تجاه غزة القائم في أعلى سقوفه على وساطة الهدنة.

أما الأردن والذي يشهد إحدى أقوى الحركات الاحتجاجية في العالم العربي رفضا للعدوان "الإسرائيلي" على غزة، وهي حركة -على خلاف مصر ودول عربية كثيرة- لم تخب بعد

فورة الغضب الشعبي العفوي في الأسابيع الأولى، فالمباركة الشعبية الواسعة لعملية "طوفان الأقصى" التي حملتها وسائط الإعلام منذ اليوم الأول، تكثفت، مع تصاعد وتيرة جرائم الحرب، ليحمل خطابها الدعم اللامتناهي للمقاومة والمطالبة بفتح الحدود بالإضافة إلى طرد السفيرة "الإسرائيلية" من الأردن وإلغاء التطبيع، الأمر الذي أفرز تحركات رسمية ديبلوماسية وإنسانية.

ويثار هنا سؤال حول حدود الخطوات الدبلوماسية وإمكانية البناء عليها خطابيا بواسطة الحركة الاحتجاجية وصولا إلى موقف أقوى في العلاقة مع الاحتلال "الإسرائيلي"، على الأقل من حيث تأثيره في سياق هذه الحرب على غزة.

وإلى حد ما يمكن قراءة الاحتجاجات الشعبية كعامل رئيس في تصعيد الموقف الرسمي الأردني، مع استصحاب إدراك نظام الحكم لخطر تهجير الفلسطينيين الذي بدأ يرشح كخيار، وموقع الأردن ضمن هذا الخيار كوجهة محتملة لقطاع عريض من الفلسطينيين.

وعلى ذكر قِدَم مسار التطبيع بواسطة نظام الحكم، فإن الأردن، على الصعيد الشعبي أيضا، به حركة منظمة وقديمة نسبيا في مناهضة التطبيع، وإذا كان تعبير هذه الحركة عن نفسها قد انحسر في شكل حركة المقاطعة التي تضم أكثر من جسم نضالي أبرزها (تجمع اتحرك والأردن يقاطع BDS)، مع الاحتجاجات العفوية المصاحبة لكل جولة حرب على غزة، فقد جاءت الهبّة الشعبية الحالية من رفض العدوان "الإسرائيلي" لتعطي حركة المقاطعة زخماً ذو حمولة سياسية أوضح، سواء كان في الاستراتيجيات أو في التوجه.

ويكمن التحدي في سياق هذه الحرب، تطوير استراتيجيات المقاومة الشعبية بحيث تتجاوز سقف مناورات النظام والالتفاف عليها بغية دفعه نحو تصعيدها، وذلك عبر فتح التداول، في ظل هذا التعدد في الأجسام، حول سبل تنظيم حركة المناهضة وإخراجها من دائرة العفوية الموسمية إلى الاستمرارية، ولا يقل عن مسألة التنظيم تطوير خطاب ذو مطالب سقفها أعلى، ولا بأس إن لم تفرز في نهاية الأمر فقط سوى تلويح النظام بقطع علاقاته مع "إسرائيل".

أما المغرب شأنها شأن أغلب الدول العربية، فإن الموقف الرسمي في المغرب لم يشذ في البداية عن الإعراب المبهم عن "القلق العميق من اندلاع الأعمال العسكرية"، ولم يسع المغرب إلا "التعبير عن أسفه وخيبة أمله من تقاعس المجتمع الدولي"، ولكن الحركة الاحتجاجية

تصاعـدت في ضغطهـا الشـعبي بحيـث أثمرت إغـلاق مكتب الاتصـال الحكومـي في الرباط منذ الأسـبوع الثـاني للعـدوان، هـذا إذا اسـتثنينا التحـركات الدبلوماسـية والإنسـانية للنظام.

إلى جانـب اليمـن والأردن والعراق، تشـهد المـدن المغربية أحد أكبر الاحتجاجـات الداعمة لغزة في الـدول العربيـة، ومـا يميـز الحـراك الشـعبي في المغـرب هـو تصاعـده وقـوة تنظيمـه، حيـث تعـم هـذه المظاهـرات مجموعـة كبـيرة مـن المـدن والبلـدات المغربيـة، بالإضافـة إلى أن الجسـم الـذي يتصـدر تنظيـم هذا الحـراك، وهو "الجبهـة المغربية لدعم فلسـطين ومناهضـة التطبيع" هـو مـن التنظيـم بحيـث تتواجد فروعـه في أغلب المـدن المغربيـة، وخطابه لديه حساسـية عالية تجـاه الوجـود اليهـودي ضمـن الكيـان الوطنـي المغـربي ويـندر فيه خطـاب "خيبر يـا يهود" في مقابـل الجرائـم "الصهيونيـة"، واسـتطاع ذلـك الجسـم أن يرفـع مسـتوى الغضب الشـعبي لفعل متواصـل عـبر التنظيـم والمطالـب التـي أفـرزت مكاسـب مؤقتـة، وتضغـط الجبهة باتجـاه إلغاء التطبيـع نهائيًا.

إن شـعار "فلسـطين أمانـة.. والتطبيـع خيانة" الذي ترفعـه الجبهة المغربيـة لمناهضة التطبيع، وتـردده الجماهـير المغربيـة في مواكبهـا عـلى امتـداد المغـرب، هذا الشـعار يمكـن أن يجد عضده في تجذيـر خطـاب الخطـر المحـلي للاتفـاق الثـلاثي المغربي-الأمريكي-الإسرائيـلي للتطبيـع، وذلـك بمخاطبـة قضايـاه وبنوده داخـل الأفق الوطني، كقضيـة الاعتراف بالسـيادة المغربية على الصحـراء عـلى سـبيل المثـال، والتي تمثـل المفصـل المركزي في اتفـاق التطبيـع الثلاثي.

تمتلـك الهبّـة الحاليـة -إذا مـا توفـرت على قدر مناسـب مـن التنظيـم والخطـاب- في المغرب الرصيـد الـكافي، أخلاقيًـا وسياسـيًا، للانطـلاق من تفكيـك خطاب السـيادة الذي تنتجـه الدولة المغربيـة ومناقشـة تناقضاته.

أمـا بالنسـبة للشـعب السـوداني، لم تشـهد البـلاد خروجـا شـعبيا يُذكـر، وهـذا الأمـر مفهـوم في بلاد شـهدت انقسـاما شـعبيا وسياسـيا حـول مسـألة التطبيع منـذ بروزها إلى المجال السـياسي السـوداني. وأهـم مـن ذلـك، أنهـا (البـلاد) تشـهد حربًـا وأزمـات إنسـانية داخليـة تفـرض عـلى النـاس انشـغالًا كامـلًا بالبلايـا الداخلية، وهو انشـغال لم تسـلم منه حتى القوى الشـعبية المنظمة المناهضـة للتطبيـع، إذ تألفـت الجبهـة الشـعبية لمقاومـة التطبيـع مـن طيـف واسـع مـن الحركات والأحـزاب السياسـية، وشـملت حتـى كتـلًا في الائتـلاف الحاكـم حينهـا والـذي مـرر مـشروع

التطبيـع، بالرغـم مـن ذلـك إلا أن الفصيـل الـذي ظـل نشـطًا في تنظيـم الاحتجاجـات منـذ تشـكيل الجبهة، تمثله التيارات الإسـلامية والوطنية المحافظة، وأغلب هذه التيارات مشـغولة في الظـروف الحاليـة بالحملـة الإعلاميـة لمسـاندة الجيـش في الحـرب ضـد الدعـم السريـع.

بنـاء عـلى التحليـل السـابق، تطـرح الحالـة السـودانية -في ضمـور حراكهـا الشـعبي مقارنـة بالموجـات السـابقة مـن الحـروب عـلى غـزة وبمـا يجـري مـن حـراك عالمـي وعـربي- تحديـاً في مقاربـة الغضـب الشـعبي الداعـم لغـزة عبر تجذيـره محليا في مناهضـة التطبيـع؛ إذ أن الحركة الاجتماعيـة المنوطـة بمناهضـة التطبيـع يهددهـا الانكفـاء والمقاربـة الجزئيـة، وعـلى المسـتوى الإيجـابي، يمكننـا اسـتخلاص درس في الضغـط باتجاه بلورة موقف رسـمي إزاء مسـألة التطبيع مـع "إسرائيـل"، وهـو الـدرس المتعلـق بـضرورة فصـل التطبيـع عـن مسـار تحسـين العلاقـة مع الولايـات المتحدة

أمـا بالنسـبة لـدول الخليـج المطبعـة كالإمـارات والبحريـن، فالإمـارات لا يوجد حراك شـعبي واضـح في الموقـف أنتجـه "طوفـان الأقـصى"، نظـراً لطبيعـة النظـام القائم الذي يسـلب حريات المواطنـين ويجـرّم ويمنـع عنهـم التعبير عـن ذلك تحت أي إطـارٍ كان ، حتى لـو كان ذلك يتعلق بالأمـن القومـي العـربي أو المقدسـات أو مسـتقبل الأمـة وغيرهـا، ناهيـك عـن موقـف الشـعب الإمـاراتي مـن "طوفـان الأقـصى" في ظـل تطبيـع النظـام الحاكم في الإمـارات مـع "إسرائيل".

أمـا بالنسـبة للبحريـن فـإن تغـيرات في الموقـف الشـعبي البحرينـي الـذي أنتجـه "طوفـان الأقـصى" ، فهـو لا يبلـور ويترجـم إلا بمواقف الجمعيـة العامة البحرينية المعارضـة ، وقد أبدت وقفـات وتنديـدات ، ولاقـت مـن نظـام الحكـم في البحريـن مضايقات.

لقـد شـكلّ "طوفـان الأقـصى" انتكاسـةً بالغـة وغـير مسـبوقة لقـوة الكيـان الصهيـوني التـي فقـدت أرجحيتَهـا وتفوّقهـا، وهشّـم الطُوفـان صـورة اقتـداره، وألحـق بهـا هزيمـة اسـتراتيجية مـن النـوع الـذي لا يمكـن ترميمـه أبـدا.

- أسـس مرحلـة جديـدة في تاريـخ الـصراع مـع العـدو "الإسرائيـلي"، ومـع مـشروع الهيمنـة الأميركيـة في الاقليـم، وأحـدث تحوّلاً مفصليا في ادارة هذا الـصراع، وضرب مشروع التطبيع الـذي يسـعى لـه الكيـان بمسـاعدة الغـرب والأمريكان.

- مَثَّـل الطُوفـان حالـة إلهام غير مسـبوقة للأمـة العربية والاسـلامية، وعزز مـشروع المقاومة في فلسـطين بأبعـاده الحضارية والاسـتراتيجية.
- معركـة "طوفـان الأقـصى" أحيـت مجـدَّداً القضيـة الفلسـطينية في نفـوس الأمَّـة العربيـة والأحـرار في كل العـالم، وأعـادت مـن جديـد روح النضـال الفلسـطيني وعدالـة القضيـة الفلسـطينية التـي كان يُـراد لهـا الطمـس والتغييـب والإنهـاء.
- شـكل "طوفـان الأقـصى" فرصـةً عـلى الصعيـد العـربي لتكثيـف الجهـود لمواجهـة المشـاريع الاسـتعمارية في الوطـن العـربي وتوحيـد الصفـوف لنـصرة ودعـم فلسـطين والحفـاظ عـلى مقـدرات وثـروات الأمّـة.

تأثير عملية "طوفان الأقصى" على الحكومات العربية والغربية في دعم مسار التطبيع

مَثّـل التطبيـع العـربي الصهيـوني منـذ عقـودٍ مضـت أحـد المسـائل التّـي تسـتدعي النقـاش الجـدلي بـين مـن يعتقـد أنّ السـلام مـع "إسرائيـل" ضرورةٌ اسـتراتيجية للـدول العربيـة، وبين مـن يعتبرهـا حالـةً من الانكشـاف الأمني الـذّي قـاد -ولازال- إلى حالةٍ من الضعـف والترهل في بنيـة الأمـن القومـي العربي.

لحظـة فارقـة تمثّلـت في حـدث السـابع مـن أكتوبـر العـام 2023، أو كـما أُطلـق عليـه عملية "طوفـان الأقـصى"، هـذا الحـدث أوقـف عمليـة التطبيع السريـع ظاهريـا، وجـاءت العملية على نطـاق لم يشـهد لـه مثيـل منـذ عقـود في الـصراع مـع الكيـان "الإسرائيـلي"، وأتـت غـداة حلول الذكـرى الخمسـين لحـرب تشريـن الأول/أكتوبـر 1973، كـما أتـت في ظـل مسـعى لإبـرام اتفاق تطبيـع بـين الريـاض وتـل أبيـب، سـيكون في حـال إنجـازه، الأحـدث في سلسـلة تفاهـمات بـين "إسرائيـل" ودول عربيـة في الأعـوام الأخـيرة.

لكـن جـاءت عمليـة "طوفـان الأقـصى" لتنسـف ذلـك التطبيـع حيـث أثـرت بالفعـل العمليـة عـلى مسـار التطبيـع، إذ تراجعـت حدة ذلك السـقوط الذي كانـت تنجر الأنظمـة العربية نحوه، فبنـت مواقـف قويـة لبعض الحكومـات وتراجعت علاقات كانت قد أسسـت مـع إسرائيل ، وباتت

الدعـوة إلى التطبيـع في الوقـت الـذي ترتكـب فيـه "إسرائيـل" إبـادة جماعية لسـكان غزة أشـبه بالخيانـة لدمـاء الفلسـطينيين والحـق الفلسـطيني ، وبمثابـة تشـجيع لـ"إسرائيـل" في إرتـكاب مزيـداً مـن الإبادة .

مـن بـين مـا أحدثتـه العمليـة هو عرقلة مسـار التطبيـع مع السـعودية التي كان يسـعى لـه الكيـان برعايـة ودعـم أمريـكي غـربي كبـير، فبعـد العمليـة تراجعـت السـعودية عن التطبيـع وتراجعـت العلاقـات البحرينيـة مـع "إسرائيـل"، ونشـب خلاف حاد بـين الأردن والكيـان ، و أصبـح التطبيـع مـع العـدو ضربا مـن الرهان الفاشـل.

فعـلى صعيـد العلاقـات الإقليميـة، تباطـأ مسـار التطبيـع الإقليمـي، وبـدا أن المسـار السـعودي معلـق بإبـداء حكومـة الاحتـلال توجهـا لتسـوية القضيـة الفلسـطينية عـلى أسـاس حـل الدولتـين، في حـين نأت الإمـارات بنفسـها عن تصريحـات "إسرائيلية" بشـأن تحمّـل تكلفـة إعـادة إعـمار القطـاع.

كما طفا على السـطح خلاف "إسرائيلي" مصري بشـأن تهجير سـكان القطاع والسـيطرة "الإسرائيليـة" على محـور صلاح الدين "فيلادلفيـا" ومعبر رفح.

وبالتـوازي، شـهدت العلاقـة مـع الأردن توتـرا عـلى خلفيـة المخـاوف مـن تهجير سـكان الضفـة والتوجـه لتصفيـة القضية الفلسـطينية.

ورغـم أن كانـت الخلافـات السـابقة دون مسـتوى تقويـض أوجـه التطبيـع والسـلام السـابقة فـإن عمليـة "طوفـان الأقـصى" كان لها أثر في إبطـاء وتيرته المتسـارعة، كما أنها جعلـت الاتفاقيـات مثـار تسـاؤل شـعبي بشـأن فاعليتهـا في وقـف العـدوان.

لقـد كان لمـا بعـد السـابع مـن أكتوبـر 2023 ارتـدادات عالميـة مـن حيـث زيـادة وعي الشـعوب الغربيـة بمـا يحـدث في فلسـطين مـن سـلبٍ للحقـوق الأساسـية لشـعبٍ يعيـش تحـت الاحتلال، كـما زاد الضغـط الشـعبي الغـربي عـلى الحكومـات الغربية التّي كانـت تدعم الكيـان بلا شروط.

لقـد أحـدث "طوفان الأقـصى" زلزالاً عالمياً في المفاهيم وفي حقّ الشـعوب في تقرير مصيرها، كـما أسـقط حكومـاتٍ غربيـة وأنهـى السرديـة "الإسرائيليـة" التّـي بُنيـت منـذ عقود والتّـي تقوم عـلى أنّ "إسرائيـل" دولـة ديمقراطيـة وتدافع عن حقّهـا في الوجود.

تزايـد سـقوط الأنظمـة الغربية المؤيّـدة للكيان عن طريـق الانتخابات والضغـط الجماهيري المتواصـل في الـدول الأوربيـة وأمريـكا على السياسـيّين لتغيـير مواقفهم تجاه الحـرب على غزة كلّهـا تـؤشّر لتحـوّل قـادم في مسـتويات الدعـم الذّي كانـت الدول الغربيـة تقدّمـه لـ"إسرائيل"، وقـد بـدأت مظاهـر هـذا التغيرّ تؤثّر عـلى الكيان الصهيوني، حيث بدأت شـحنات الأسـلحة التّي كانـت تُصـدّر إلى الكيـان من تلـك الدول تتناقـص نتيجة الضغط الشـعبي.

بـ التداعيات الاقتصادية

تأثير عملية "طوفان الأقصى" على الاتفاقيات الاقتصادية المرتبطة بالتطبيع

وضـع "طوفـان الأقـصى" عـدداً مـن الـدول المُطبِّعـة في مواجهـة التزاماتهـا مـع "إسرائيـل" وأوقـف مؤقّتـا مسـار التطبيـع، حيـث "لا يـزال منطـق الـدول العربيـة في تطبيـع علاقاتهـا الاقتصاديـة مـع إسرائيـل جلياً حتّـى في خِضّم الخطابات الحـادّة والجهود الدبلوماسـية العربية المكثّفـة التّـي أثارتهـا حـرب غـزة، والـذي كان بعضهـا عـلى شـكل نهـجٍ جماعـي."

و كـما هـو معلـوم، فإن التطبيـع الاقتصادي العربي مع الكيان الصهيوني شـهد خلال العامين الأخيريـن توسـعاً كبـيراً، وذلـك عـلى خلفية إبـرام عدد مـن الدول العربيـة اتفاقيـات تطبيع مع الكيـان الصهيـوني، ودخول دول أخـرى مرحلة التطبيع الاقتصـادي غير المعلن.

للأسـف، مـن غـير المتوقع أن يتأثـر هذا التطبيع بتداعيـات عملية "طوفـان الأقصى"، بالنظر إلى أن الفـترة التـي سـبقت العمليـة شـهدت اعتـداءات متواصلـة مـن المسـتوطنين عـلى المسـجد الأقـصى والمصلـين فيـه، ووصلـت أحياناً إلى حد شـتم الرسـول الكريم [صلوات اللـه عليه وعلى آلـه] ومـع ذلـك، لم تبـادر الـدول المطبعـة خـلال تلـك الفـترة إلى اتخـاذ إجـراءات بحـق "تـل أبيـب" أو حتـى مطالبتهـا بالكف عن هذه الممارسـات واحترام المقدسـات الإسـلامية،ولذلك، ليس علينـا أن نتوقـع مثـل هـذه الإجـراءات في وقتٍ هنـاك عربياً من يسـاوي بين المقاومـة و"جيش" الاحتلال.

اسـتمرار تشـبّث الحكومـات العربيـة بالتطبيـع مـع "إسرائيـل"، خصوصـا في الموضوعـات الاسـتراتيجية؛ الالتـزام بالمعاهدات، واسـتمرار العلاقـات التجارية، والحـوار الديبلوماسي، وعدم تقديـم أيّ مسـاندة اسـتراتيجية للمقاومـة.

الحكومـات العربيـة التّـي طبّعـت حديثًـا (صفقـة أبراهـام) مازالـت تبنـي علاقـاتٍ اقتصادية مـع "إسرائيـل"، بـل ازدادت سرعـة التطبيـع مـن خلال المسـاعدات التّـي تُقدّمها تلـك الحكومات للكيـان الصهيـوني، فالمغـرب الأقصى مثلاً مـازال يقيم علاقـات اقتصادية كاملة مـع "إسرائيل"، فوفقـا لمعهـد سـتوكهولم الـدولي لأبحاث السـلام، أصبحت "إسرائيـل" ثالث أكبر مُوّرد للأسـلحة للمغـرب الأقـصى في العـام 2023، بمـا يمثّـل 11٪ مـن واردات المملكة من الأسـلحة.

كـما اسـتفاد المغـرب مـن علاقاتـه المُحسّـنة مـع "إسرائيـل"، الرائـدة في تكنولوجيـا الطائـرات بـدون طيـار المتقدّمة، لبناء أسـطول الطائـرات بدون طيار، والذّي يُعتبر الآن ثاني أكبر أسـطول في إفريقيـا بعـد مـصر والأمر نفسـه ينطبق عـلى دولة الإمـارات العربية المتحـدة، حيث مازالت العلاقـات "الإسرائيليـة" الإماراتيـة في أوج حالاتهـا عـلى الرغـم من حرب الإبـادة على غزة.

مـصر والأردن مازالتـا ملتزمتـين بالتطبيـع مـع "إسرائيـل"، بـل إنّ الأردن اتُّهـم بأنّـه فتـح جسراً بريـاً لتصديـر الأغذية للكيـان الصهيوني أثناء الحـرب على غزة، أمّا مـصر فإنّها ترفض فتـح معـبر رفـح لتمريـر المسـاعدات الإنسـانية المكدّسـة هنـاك بحجـة أنّ الطـرف الإسرائيلي هو الـذّي يمنـع ذلك.

الانعكاسات على الاستثمارات المشتركة بين الدول المطبعة والكيان

لاشـك أن الاسـتثمار "الإسرائيـلي" مع الـدول المطبعة سـيتراجع بعد عمليـة "طوفان الأقصى" حتـى وإن لم تؤثـر عـلى اتفاقيـات التطبيـع الاقتصـادي مـع الحكومـات المطبعـة إلا أن الصحوة الشـعبية لشـعوب الحكومات المطبعة هي من تفرض تراجع ذلك الاسـتثمار، ومن بين الاستثمارات المشـتركة للـدول المطبعـة ما تراجـع الاسـتثمار إلا نتيجة لصحـوة المقاطعة الواسـعة ومنها ما زال مسـتمراً كالإمارات.

في هـذا السـياقِ، يقـول الخبـير الاقتصادي والمحلل الاسـتراتيجي رشـيد الحـداد: "إن اقتصادَ الكيـان الصهيـوني والـدول المطبِّعـة معـه لـن يكون في منـأى عن انعكاسـات أحداث غـزة وعملية "طوفـان الأقـصى"، مؤكّـداً أن "الشـعوب العربيـة في أكـثر مـن دولـة بـدأت تفعيـل المقاطعـة للمنتجـات الإسرائيليـة والأمريكية".

وتؤكّـد التقاريـر أن "الاقتصـاد الصهيـوني يعـاني مـن حـدة التراجـع عـلى المـدى القريـب

والمتوسط، وَإذَا ما استمر العدوان على غزة، فسيصل التراجع إلى المدى البعيد، ولن تكون الدول المساندة للكيان بعيدةً عن بأس المقاطعة وقطع العلاقات التجارية".

ويضيف الحداد في تصريحٍ خاص لصحيفة "المسيرة" أن "بعض الأنظمة العربية عطَّلت اتّفاقية المقاطعة للمنتجات الإسرائيلية الصادر عن الجامعة العربية، عام 1951م، التي تم إفراغُها من مهامها في تسعينيات القرن العشرين"، لافتاً إلى أن "عمليةَ "طوفان الأقصى" وأحداث غزة كشفت الدول المطبَّعة بشكل كبير، وكشفت عن وجود واستمرار المكاسب التجارية التي كانت ذاهبة نحو التطبيع، بالإضافة إلى أنها مثّلت ردعاً للكيان الصهيوني من بعض الدول التي منعت طائرات كيان العدوّ من المرور بأجوائها، كسلطنة عمان، وأعادت مرةً أُخرى تفعيل المقاطعة الاقتصادية بشكل مرتفع خَاصَّةً في الدول التي كانت قد تراجعت في العمل باتّفاقية المقاطعة مثل دول الخليج، وحدّت من عمليات التطبيع".

ويتابع الحداد: "نؤكّد أن اتّفاق "أبراهام" كان الهدف الأَسَاسي منه اختراق الأسواق العربية بالمنتجات الصهيونية، لكن العملية أفشلت ذلك بما فيها اتّفاق الإمارات مع الكيان برفع التبادل التجاري إلى 10 مليارات دولار سنوياً لصالح الكيان الغاصب ومنتجاته، في السوق العربية، وسبق لها أن حقّقت نهاية العام الماضي 5 مليارات دولار، لكن العملية شكَّلَت تراجعاً كَبيراً جِدًّا، وفقاً لتقديرات اقتصادية في هذا الجانب".

ومن جانبٍ آخر أصبحت الاتّفاقية -كما يقول الحداد- بحكم تداعيات عملية "طوفان الأقصى" منتهية بشكل كلي، وهذا سيدفع ببعض الدول التي كانت لديها علاقات من تحت الطاولة مع الكيان إلى التراجع، وهناك توجّه عربي لعدم التبادل التجاري مع الإمارات، ولعدم استيراد المنتجات الإماراتية بحكم أنها منتجات صهيونية معلَّبة إماراتياً، من جبل علي، ونؤكّد على وجود صحوة عربية كبيرة جِدًّا، وتنعكس بالتالي على الاقتصاد الصهيوني.

ويردف الحداد "بل إن ما يزيد التأثير على الاقتصاد الصهيوني في هذه المرحلة هو منع وصول السفن التي كانت تمر عبر البحر الأحمر إلى ميناء "أم الرشراش" وهي قادمة من الإمارات؛ بفعل الموقفِ اليمني المساند لغزة، فلم تعد ترسو في هذا الميناء أية سفينة، وهذا يؤدي إلى مضاعفات اقتصادية كبيرة، تشمل الإمدَادات التجارية والعسكرية وتمس كُلّ الجوانب الخدمية والسلع الأَسَاسية للكيان".

من جانبه يشير الخبير في الاقتصاد السياسي نهاد إسماعيل، في تصريحات لـ"العربي الجديد"، إلى أن حرب غزة تضع شركاء الاتفاق الإبراهيمي أمام خيارات صعبة، إذ لا تستطيع الدول المطبعة أن تتجاهل الغضب العربي الجماهيري من جرائم العدوان الإسرائيلي، وفي الوقت نفسه فإنها تسعى للمحافظة على العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية مع إسرائيل.

ويضيف أن موقف الإمارات تحديدا يتلخص في أن الحرب والسياسة يجب فصلهما عن مسار التطبيع الاقتصادي، بينما يبدو موقف البحرين منطويا على قدر من التمايز، إذ قامت بتعليق الروابط الاقتصادية مع "إسرائيل"، وفي كل الأحوال فإن المستقبل طويل المدى لتطبيع الدولتين اقتصاديا مع "إسرائيل" يعتمد على نتائج وتبعات الحرب، وليس على كلفتها وخسائر البنك المركزي والاقتصاد "الإسرائيلي".

وبلغ حجم التجارة البينية بين الإمارات و"إسرائيل" 2.5 مليار دولار عام 2022، وتتوقع الإمارات رفع حجم هذا التبادل ليصل إلى 10 مليارات دولار بحدود عام 2030، وفي مارس/ آذار 2023، تم الإعلان عن توقيع أول اتفاق للتجارة الحرة بينهما، والذي نص على إعفاء 96 من البضائع والسلع من الضرائب أو تخفيضها، وسمح للشركات "الإسرائيلية" بالمشاركة في المناقصات الحكومية بدولة الإمارات، وهو ما يراه إسماعيل مؤشرا إلى أن أبوظبي اتخذت قرارا استراتيجيا باستمرار التطبيع مع "إسرائيل"، بصرف النظر عن أي تطور سياسي يتعلق بالقضية الفلسطينية.

أعلنت تركيا بعد عملية "طوفان الأقصى" واستمرار المجازر بحق سكان غزة، تعليق مشاريع مشتركة بينها وبين "إسرائيل" في مجال الطاقة، وذلك رداً على "مجازر" الأخيرة بحق السكان المدنيين في قطاع غزة، وذلك تزامناً مع تطورات أخرى على الصعيدين السياسي والتجاري والدبلوماسي بين أنقرة وتل أبيب.

هذا القرار جاء أيضاً بالتزامن مع إلغاء وزير الطاقة التركي ألب أرسلان بيرقدار زيارته إلى تل أبيب.

ويعدّ التعاون الطاقي أحد أبرز محركات ودوافع توقيع اتفاقية التطبيع بين البلدين عام 2016، لكنّ امتناع "إسرائيل" آنذاك عن تقاسم تكلفة مدّ خطوط أنابيب الغاز "الإسرائيلي" التي كان من المخطط نقلها إلى أوروبا عبر تركيا، أدى إلى تأجيل تنفيذ المشروع.

وتشير التقارير إلى أن "إسرائيل" لديها نحو 750 مليار متر مكعب من احتياطيات الغاز المؤكدة وحوالي 50 مليون برميل من النفط، وتخطط لنقل نحو 10 مليارات متر مكعب سنويا من حقل غاز ليفياثان إلى السوق الأوروبية.

تعرضت العلاقات الاقتصادية المصرية "الإسرائيلية" لضربات موجعة منذ اللحظات الأولى للعدوان على غزة، إذ توقفت حركة الطيران بين تل أبيب والقاهرة، وأصبح سفر السائحين في اتجاه واحد للخروج من سيناء (شمال شرق مصر) براً إلى إيلات، وأوقفت "إسرائيل" 20% من إمدادات الغاز، بينما تعطلت حركة دخول السلع والمنتجات، ويراهن الداعون إلى مقاطعة "إسرائيل" على إفاقة النظام في ظل المخططات "الإسرائيلية" لتهجير الفلسطينيين من قطاع غزة باتجاه مصر.

كذلك تراجعت واردات مصر من الغاز "الإسرائيلي" بنسبة 20%، ليصل إلى حوالى 650 مليون قدم مكعب يومياً، منذ 7 أكتوبر/ تشرين الأول، حيث أمرت سلطات الاحتلال بإغلاق حقل "تامار" الرئيسي للغاز الذي تديره شركة " شيفرون" الأميركية بمنطقة شرق البحر المتوسط، والذي يمد مصر بالغاز.

ويرى هاني الحسيني، الخبير الاقتصادي، أن "المقاطعة الاقتصادية لن تنفذ بسهولة" في ظل حرص النظام المصري على استمرار تدفق الغاز من الآبار "الإسرائيلية"، وارتباط صفقة الغاز باتفاقيات دولية، ترعاها الولايات المتحدة، ودول الاتحاد الأوروبي، بما يعني صعوبة أن تتجه الحكومة إلى وقف هذا المشروع.

ج ـ التداعيات الاجتماعية والإعلامية

تأثير العملية على الرأي العام العربي

شكّلت عملية "طوفان الأقصى" لحظةً تاريخيةً مفصلية أرجعت القضية الفلسطينية إلى سُلّم أولويات الرأي العام العربي، فبعد سنواتٍ من التراجع الإعلامي والاجتماعي على تناول الحقّ الفلسطيني نتيجة لاتفاقيات "التطبيع" المتتالية التّي وقعتها بعض الحكومات العربية مع الكيان الصهيوني، وبعد انتظار اللحظة الأخيرة لإنهاء مسألة العودة وحلّ الدولتين،

جاء "طوفان الأقصى" ليُنهي كلّ المؤامرات التّي كانت تُحاك ضدّ حقّ الفلسطينيين في إقامة دولتهم المحررة والمستقلة.

ووفق آخر استطلاع للرأي العام العربي بعد عملية "طوفان الأقصى"أجراه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات أكّد أن الرأي العام العربي متوافق بنسبة أكبر من 84% على أن سياسات "إسرائيل" والولايات المتحدة الأميركية تهدد أمن المنطقة واستقرارها، وأنهم يرفضون إقامة علاقات طبيعية مع حكومة الاحتلال لأسباب مرتبطة بطبيعتها الاستعمارية والعنصريّة والتوسعية.

لكن من يتابع صورة العالم العربي اليوم يُدرك أن اندفاعة النظام الرسمي العربي نحو التطبيع منذ 3 أعوام لم تُغيرّ شيئاً في رؤية الشارع، فالجماهير العربية الرافضة للتطبيع لا تزال تضغط على حكوماتها لاتخاذ مواقف أكثر دعماً للقضية الفلسطينية، والحكومات تضطر إلى مواءمة مواقفها وإصدار البيانات الرافضة للتطبيع، وذلك تجنباً لخسارة المساندة الشعبية.

ويظهر الاستطلاع إلى أن الشباب العربي مهتم بأجهزة التلفاز في المقاهي العربية، المُثبّتة على القنوات الإخبارية التي تعرض كل مستجدات عمليات المقاومة وتبعاتها والتظاهرات الضخمة التي تهتف باسم فلسطين في صنعاء وعمّان والمنامة والرباط وتونس، تعرض مشاهد ربما لم يختبرها الشارع العربي منذ أحداث الانتفاضة الفلسطينية الثانية.

تلك المؤشرات كافة، مضافاً إليها نشاط الشباب العربي في مواقع التواصل، والإعلان عن تأييد كل عملية جديدة تنفذها المقاومة، واستدعاء صور القائد سمير قنطار في لبنان، والمجند محمد صلاح في مصر، والمهندس محمد الزواري في تونس، أصابت التيار المؤيد للتطبيع بالصدمة، إذ تبين لهم بالتجربة العملية أن الجهود التي بذلتها وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية بهدف حرف بوصلة الشعب العربي ضاعت هباءً.

ويعتقد 36% من مواطني المنطقة العربية -حسب نتائج الاستطلاع ذاته- أن الإجراء الأهم للحكومات العربية لإيقاف العدوان على قطاع غزة يتمثل في قطع هذه الحكومات علاقاتها مع إسرائيل أو إلغاء عمليات التطبيع معها، في حين رأى 14% من المستجيبين أنه يتمثل في إدخال المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة من دون موافقة إسرائيل، وحبذ 11% استخدام

سـلاح النفـط من أجـل الضغط عـلى إسرائيـل ومؤيديها.

وأبـرز الاسـتطلاع أن الـرأي العـام العـربي اعتـبر 35% مـن المسـتجيبين أن السـبب الأهـم للعمليـة هـو اسـتمرار الاحتـلال "الإسرائيـلي" لـلأراضي الفلسـطينية، في حـين عزاهـا 24% إلى الدفـاع عـن المسـجد الأقـصى ضـد اسـتهدافه، ورأى 8% أنها نتيجة لاسـتمرار حصـار قطاع غزة.

وتنوعـت آراء المسـتجيبين الآخريـن بين تحرير المعتقلين والأسرى الفلسـطينيين في السـجون "الإسرائيليـة" (6%)، وضـد اسـتمرار الاسـتيطان واتسـاعه في الأراضي الفلسـطينية (5%)، وعدم اهتـمام المجتمـع الـدولي بحقـوق الفلسـطينيين واسـتمرار الاحتـلال (4%)، ورفـض "إسرائيـل" إقامـة دولـة فلسـطينية (4%)، وغيرها مـن الآراء بنسـب ضئيلة.

كل هـذه الأحـداث التـي ظهـرت في الشـارع العـربي شـكلها "طوفـان الأقـصى" وجعـل الـرأي العـام العـربي يرفـض العلاقـات مـع "إسرائيـل" وكل أشـكال التطبيـع، وهـذه أحـد التداعيـات الاجتماعيـة لـ"طوفـان الأقـصى" عـلى مسـار التطبيـع مـع العـدو "الإسرائيـلي".

مـن جانـب آخـر فـإنَّ الحديث عـن السـلام الإقليمـي والتطبيع الـذي سـبق الطوفـانَ لم يَعُدْ قائمـاً ومقنِعـاً؛ لأن الأنظمـة العربيـة التـي كانت متحفـزة للتطبيع باتت غير قـادرة على تجاوُز مظلوميـة الشـعب الفلسـطيني أمـام الـرأي العـامّ العـربي والإسـلامي، عـلاوة عـلى أن غطرسـة نتنياهـو تُشـكّل هـي الأخـرى عائقـاً أمـام هـذه الأنظمـة التـي اكتشـفت بفعـل الطوفـان أيضاً أن "إسرائيـل" لا تسـتطيع حمايـة أمنها، فكيف لهـا أن تُقدّم الأمن والحمايـة والتكنولوجيا لحلفائها المفترَضـين مـن العرب؟

دور وسائل الإعلام التقليدية والجديدة في تشكيل المواقف الشعبية

لقـد شـكلت وسـائل الإعـلام التقليديـة و الجديـدة بعـد عمليـة "طوفـان الأقـصى"، المواقـف الشـعبية للجمهـور العـربي والإسـلامي الرافـض لمسـار التطبيـع مـع العـدو الإسرائيـلي، فـما أظهرتـه مـن مشـاهد لأبطـال الطوفـان أثنـاء اقتحامهـم المواقـع "الإسرائيليـة" حمّسـت الشـارع العـربي وأعـادت القضيـة الفلسـطينية إلى الواجهـة وجـددت الموقـف الشـعبي الرافـض للتطبيـع مـع العـدو الإسرائيـلي.

فمنـذ أن شـنت المقاومـة هجومهـا الأول ضمـن معركـة "طوفـان الأقـصى" بـدأت معـه معركة أخـرى في الفضـاءات الإعلاميـة والإلكترونيـة وهـي معركـة الخطابـات وحرب السرديـات، وكان مـن الغريـب أن تنتقـل تلـك المعركة إلى الأوسـاط "العربية-العربيـة"؛ إذ يشـهد الخطاب العربي تجـاه القضيـة الفلسـطينية والمقاومـة حالة مـن الاختراق الصهيـوني المتزامن مع والسـابق لموجة التطبيـع مـن بعض الـدول العربيـة ضمن موجـة التطبيـع الثالثة.

ومـما يسـترعي ويسـتدعي التوقـف عنـد طبيعـة تحـولات ذلـك الخطـاب وسردياتـه رصـد التغطيـة الإعلاميـة العربيـة لعمليَّـة "طوفان الأقصى" وأهم مسـتجداتها ضمـن تغطيتها لقضية طالمـا وُصِفـت بكونهـا قضيـة الأمّة الأولى، ويسـتدعي المنطـق أن يكون الإعلام العـربي على قلب رجـل واحـد في تغطية المسـتجدات الميدانية والسياسـية والإنسـانية للقضية الفلسـطينية، وتقديم تغطيـة إعلاميـة عربيـة إسـلامية تدعـم سرديـة مقاومـة الاحتـلال وفضـح جرائمـه وانتهاكاتـه بحق الفلسـطينيين.

إلا أن ذلـك تغـير جزئيـا عـلى نحـو مـا تغـيرت معـه الاتجاهـات الإعلاميـة في ظـل الموجـة الجديـدة مـن التطبيـع، ولكـن هذه الموجة جـاءت مختلفة عن سـابقتيها متجاوزة لـدول الطوق، ومـع دول لم تشـهد حالـة حـرب مـع الكيـان الإسرائيـلي، كما أنهـا جـاءت مختلفـة في اتجاهاتها الإعلاميـة التـي هيمـن عليهـا التحامل عـلى المقاومة والتحرز مـن مهاجمة الاحتـلال أو التحرز مـن تغطية أعـمال وخطـاب المقاومة.

التضييقات التى مارستها meta متمثلة في فايسبوك وإنستجرام ، جعل الناشطين والناشطات يلجـأون إلى موقـع تليجرام وموقع x (تويتر سـابقا) بفضل مسـاحة الحريـة الموجودة فى هذين الموقعـين وتـم اسـتغلال هذه المسـاحة لنـشر السردية الفلسـطينية للقضيـة ضد السرديـة الغربية التـى تسـاند "إسرائيـل" وتدعمهـا وتقـرّ أن مـا فعلته حـماس يصنف كعمـل إرهابي متناسـين أن الشـعب الفلسـطينى كان عرضـة لكل أنواع العـدوان والتهجير القسرى منذ 75 سـنة.

إن دور وسـائل التواصـل الاجتماعـى كان كبـيراً فى تعريـة النفـاق الغـربي وازدواجيـة المعايير التـى يتعامـل بها مع الضحايا، فحقوق الإنسـان ليسـت للجميع وحق الدفاع عـن النفس وتقرير المصـير ومقاومـة الاحتـلال هـو حكـر عـلى بعـض الشـعوب (مثـل موقفهـم مـن أوكرانيـا) دون غيرهـا، وجرائـم الحـرب وقصـف السـكان المدنيـين والمستشـفيات يعاقـب عليهـا القانـون الدولى

الإنسـانى، ولكنـه لا يعاقـب الكيـان الصهيـونى الـذى لم يلتـزم بـأى معاهـدات أو قوانـين دوليـة وكأنهـا دولـة فـوق القانـون وفـوق منظمة الأمـم المتحـدة وقراراتها.

فضحـت هـذه الازدواجيـة فى المعايـير تـآكل النظـام الـدولى ـــ القائم عـلى المعايـير عموما ـــ بمـا فيـه القانـون الدولى الإنسـانى وآلياته بمـا فيها مجلس الأمـن، فهجوم المقاومة الفلسـطينية في السـابع مـن أكتوبـر، وبعدهـا حـرب "إسرائيـل" ضـد القطـاع، أججـت الغضـب حـول العالم، وخرجـت تظاهـرات مؤيـدة للفلسـطينيين، واسـتطاعت وسـائل الإعلام عـبر الكامـيرا والهواتف الخلويـة والمراسـلين توثيـق الإبـادة الجماعيـة والمجاعة الانسـانية والكارثة الصحيـة، مما انعكس في العديـد مـن المظاهـرات الدوليـة والإقليميـة والانتفاضات الشـعبية ضـد الحكومـات الغربية، لوقـف الدعـم الأمـيركي والأوروبي لإسرائيـل، وتحولت جميع السـاحات بفعل سـلطة الإعلام إلى منصات داعمـة للقضية الفلسـطينية.

لقد سـاهمت وسـائل الإعلام في دعم القضية الفلسـطينية وتحولت لسـلاح مؤثر في مواجهة الادعـاءات "الإسرائيليـة"، وعملـت كأداة فعالـة في إدارة الحـرب مـن خلال حشـد التأييد الشـعبي العالمـي مع الشـعب الفلسـطيني والمطالبـة بوقف الحـرب على غزة.

أثمـر هـذا الضـخ الإعلامـي الكبير في منصـات التواصل الاجتماعـي وما قدمـه المؤثرون من نـشر صـور آثـار العـدوان والدمـار ونقـل الصـورة كاملـة إلى العالم عـبر صفحاتهـم في مواقع التواصـل الاجتماعـي، أثمـر أثراً بالغاً في حشـد المظاهرات في الشـوارع وفي تحريـك الرأي العام تجـاه القضيـة وفي فشـل الاحتـلال إعلاميا بـكل أشـكاله في الحرب الأخيرة وخـسر روايته حتى في الأوسـاط التـي كانـت منحـازة إليـه في البداية، وبحسـب شركة ميـغ أي أي للتحليـل فإن 83 بالمئـة مـن منشـورات التواصـل الاجتماعي أصبحت ضـد "إسرائيل".

تأثير عملية "طوفان الأقصى" على المدى القصير والطويل لمسار التطبيع

شكّلت عملية "طوفان الأقصى" ضربة قوية لمشاريع التطبيع مع العدو الإسرائيلي، ومما لا شك فيه فقد خلقت تداعيات على المدى القصير والطويل على مسار التطبيع مع العدو "الإسرائيلي".

وأصبحت معركة "طوفان الأقصى" حدّثًا تاريخيًا مفصليّا في المنطقة، ستبقى ارتداداتها إلى أمد طويل يغيرّ معه مجرى الأحداث المقبلة، لكن أول انعكاس له أنه أعاد إحياء القضية الفلسطينية بقوة، لتتصدر الاهتمامات من جديد، أما الارتداد الثاني، فكان أن أظهر فشل مشروع "دمج إسرائيل" بالمنطقة، وعرّى وفضح مشروع التطبيع و" السلام" المزعوم.

- في إشارة واضحة لتأثير عملية "طوفان الأقصى"، لمساعي التطبيع، قال وزير الخارجية الأمريكي "أنتوني بلينكن" بعد يوم من العملية، إن "عرقلة التطبيع المحتمل للعلاقات بين إسرائيل والسعودية ربما يكون من دوافع الهجوم الذي شنته حماس على إسرائيل"، وهو ما عاد وكرره في مؤتمر صحفي حول نتائج زيارته للأراضي المحتلة.
- تصعيب الأمر على الحكومات العربية التي لن يكون من السهل عليها أن تذهب إلى التطبيع خلال الحرب أو حتى بعد انتهائها بوقت قليل على جثث عشرات آلاف من الشهداء الفلسطينيين.
- حالة التضامن مع الفلسطينيين وحالة العزلة التي يعاني منها الكيان على الساحة العالمية تعد بيئة غير مناسبة لإقدام الحكومات العربية على التطبيع.
- أن عملية "طوفان الأقصى" قد لا توقف مسار التطبيع نهائياً إلا أنها لا شك عزّزت من شروطه لصالح فلسطين، والأهم من ذلك أنها حدّت من تأثير التطبيع وإن جرى تنفيذه، أي أن التطبيع صار فارغاً من مضمونه، فلا يمكن التعايش مع الكيان الإسرائيلي باعتباره جزءاً طبيعياً من المنطقة كما كان هدف التطبيع المنشود، وفي المقابل تصدّرت فلسطين إلى واجهة الاهتمام العالمي بعدما كانت مغيبّة لعقود من الزمن.
- كونت عملية "طوفان الأقصى" رأي عام واسع في الوسط العربي يرفض التطبيع مع

إسرائيـل ويطالـب بقطـع العلاقـات معهـا ومقاطعتهـا، والـرأي العـام الـذي تكـون ضـد "إسرائيـل" ليـس بالسـهل تجـاوزة أبـداً.

- خلقـت عمليـة "طوفـان الأقـصى" توتـرات في مسـار التطبيع مع الـدول المطبعة مثـل الأردن والبحريـن وتركيـا، حيـث عقّـدت مـن التبـادل الدبلومـاسي مـع إسرائيـل وتـم سـحب بعـض السـفراء وقطـع العلاقـة الدبلوماسـية.
- تراجـع مسـتوى التطبيـع الاقتصـادي خاصة مع تركيا التي تشـكل أكبر سـوق تجـاري لمنتجات الكيـان، حيـث تـم قطـع العلاقـة والاسـتثمار في المجـال الاقتصـادي بعـد عمليـة "طوفـان الأقصى".
- حسـب خـبراء دوليـين، فإن مسـتقبل التطبيع أكثر قتامة من الماضي، ولـن تتقدم عمليته ليس فقـط عـلى المـدى القصـير، بـل حتـى على المـدى الطويـل، كـما أن عمليـة "طوفـان الأقصى" غـيرت الكثـير مـن المعـادلات في مجال تطبيـع العلاقات بين القـادة العـرب والصهاينة.

لهـذا ، وبعـد عـام مـن عمليـة "طوفـان الأقـصى" وبعكـس الاتجـاه الـذي كان يريـده الكيان الصهيـوني وحلفـاؤه، فـإن النتائـج اتخـذت مسـارا معاكسـا مـن حيـث عـودة الحديـث بقـوة في الأوسـاط السياسـية والشـعبية والفضـاءات الإقليميـة المسـتقلة عـن مبـادرات قانونيـة لتجريـم التطبيـع وسـن وتفعيـل قوانـين تمنـع إقامـة علاقات سياسـية وأي نوع مـن الاتصال مـع الكيان، إذ كانـت كتلـة مـن نـواب البرلمـان التونـسي قـد طرحـت في نوفمـبر 2023 مشروع قانـون "منع الاعـتراف والتعامـل مـع الكيان الصهيـوني"، وقعه 97 نائبـا، وفي الكويت سـعت الأغلبية النيابية إلى طـرح مـشروع قانون يسـتهدف تغليـظ تجريم التطبيـع مع دولة الاحتـلال الإسرائيلي، وفي ليبيـا سـارع نـواب في مجلـس النـواب إلى تقديـم مقترح نـص قانون يجـرم كل أشـكال التطبيع مـع الكيان.

التغيرات المحتملة في استراتيجية الكيان ناحية التطبيع

الهدف الاستراتيجي الذي يسعى له الكيان "الإسرائيلي" ليرسم وفق إطار مستقبله ويبني على أساسه التغيرات، هو النصر وإعادة صورته الهشة التي كشفتها عملية "طوفان الأقصى"، ويعتبر تحقيق الانتصار في الحرب التي يخوضها لأكثر من عام أبرز رهاناته لتجديد مسار التطبيع، فالتطبيع لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قويا بالقدر الذي يكون هو أقوى كيان في منطقة الشرق الأوسط.

وإذا ما حقق ذلك فمن بين تلك التغيرات المحتملة في استراتيجية الكيان تجاه التطبيع يمكن أن تشمل عدة جوانب:

1. **تحسين العلاقات الدبلوماسية:** قد يسعى الكيان إلى تعزيز علاقاته مع دول عربية أخرى لتحقيق مزيد من التطبيع، مستفيداً من العلاقات السابقة مع دول مثل الإمارات والبحرين.
2. **التعاون الاقتصادي:** يمكن أن تشمل الاستراتيجيات الجديدة التركيز على التعاون الاقتصادي وزيادة الاستثمارات المشتركة، مما قد يجعل التطبيع أكثر جاذبية للبلدان الأخرى.
3. **التبادل الثقافي:** قد يتم التركيز على تعزيز التبادل الثقافي والفني مع الدول العربية لتعزيز الفهم المتبادل وتقليل التوترات.
4. **الأمن الإقليمي:** قد تتمحور الاستراتيجية حول التعاون الأمني لمواجهة تهديدات مشتركة، مثل التحديات من إيران أو الجماعات المتطرفة.
5. **الضغط الدولي:** قد يحاول الكيان استغلال الضغوط الدولية لتعزيز موقفه في عملية التطبيع، مثل الدعم من الولايات المتحدة أو حلفاء آخرين.
6. **المسار الفلسطيني:** قد تتضمن الاستراتيجية جهودا لتحسين الوضع الفلسطيني، سواء من خلال المبادرات الاقتصادية أو السياسية، لدعم التطبيع مع دول عربية.

هذه التغيرات يمكن أن تتأثر بالعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية، وقد تختلف من فترة لأخرى بناءً على الظروف السائدة.

الموقف الأمريكي من مسار التطبيع في إطار "طوفان الأقصى"

يعلـم الجميـع أن مـشروع التطبيـع والتقـارب العـربي "الإسرائيـلي" منـذُ بدايتـه الأولى ،هـو مـشروع أمريـكي ، إذ تسـعى الولايات المتحـدة عبر حكوماتها المتعاقبة إلى دمـج الكيان الإسرائيلي في المنطقـة ، حيـث تعتـبره قاعـدة متقدمـة لهـا في المنطقـة ، يخـدم مصالحهـا الاسـتعمارية ويحقـق أهدافهـا العدوانيـة ضـد الأمـة الإسـلامية ، ولأنّ كان "طوفـان الأقـصى" شـكّل ضربـة كبـيرة للمـشروع الأمريـكي في المنطقـة الـذي تسـعى له منـذُ عقود ، فقـد جاء الموقـف الأمريكي مـن عمليـة "طوفـان الأقـصى" هـو الموقـف الأبـرز الداعـم للكيـان الإسرائيـلي في كل المجـالات ، ومـن بـين تلـك المجالات وأهمهـا ،موقفه من مسـار التطبيـع في إطار عملية "طوفـان الأقصى".

فـما قبـل عمليـة "طوفـان الأقـصى" في السـابع مـن أكتوبـر 2023م، كان التقييـم الأمريـكي للأوضـاع في الـشرق الأوسـط أنَّهـا تسـير باتّجـاهٍ مـواتٍ للمصالـح الأمريكيـة، حتـى أنَّ "جـو بايـدن" عندمـا شرع في رحلتـه الأولى إلى المنطقـة كرئيـس في 2022م، أشـاد بحقيقـة أنَّهـا المرة الأولى منـذ هجـمات 11 سـبتمبر 2001م، التـي يـزور فيهـا زعيـم أمريـكي المنطقة دون مشـاركة القـوّات الأمريكيـة في مهـام قتالية.

وهـذا مـا أكَّـده أيضـا مستشـار الأمـن القومـي الأمريكي جاك سـوليفان، قبـل أيـام قليلة من "طوفـان الأقـصى"، بقولـه إنَّ الـشرق الأوسـط أصبـح أكـثر هـدوءا اليـوم مـمّا كان عليـه منـذ عقديـن مـن الزمـن، وأشـاد بقُـدرة الولايـات المتحدة عـلى التركيز عـلى الأولويات الإسـتراتيجية خـارج الشرق الأوسـط.

لقـد كانـت كل اتفاقيـات التطبيـع التـي حدثـت تتـم برعايـة أمريكيـة مبـاشرة ، بدايـةً مـن اتفاقيـة كامـب ديفيـد عـام 1978 في ظـل إدارة جيمـي كارتـر، مـرورا بلقاء شـمعون بيريس عام 1985، وصـولا إلى الاتفـاق الـسري عـام 1987 في ظـل إدارة رونالـد ريجـين، بقيـت الولايـات المتحـدة متربصـة بفرصـة حقيقيـة لإطـلاق قطـار التطبيـع في الـشرق الأوسـط ،حتـى تمكنـت إدارة ترامـب مـن تحقيـق اخـتراق تاريخـي في عمليـة التطبيـع مـن خـلال "اتفاقـات أبراهام"، حيـث ضمـت أربـع دول عربيـة هـي: البحريـن والإمـارات والسـودان والمغـرب في فـترة قصـيرة مـن أغسـطس/آب حتى ديسـمبر/كانون الأول 2020، وكانـت الولايات المتحدة تسـعى لإبرام اتفاق تطبيـع بـين السـعودية و"إسرائيل".

بعد عملية "طوفان الأقصى" صرح وزير خارجية أمريكا إلى أن أحد مساعي "طوفان الأقصى" هو إفشال مساعي إدارة بايدن في توقيع اتفاق تطبيع بين السعودية وإسرائيل ، وأكد في جولات عديدة قام بها "بلينكن" إلى أن الولايات لازالت تسعى لتحقيق "اتفاقيات السلام" حسب تعبيره - بين الدول العربية وإسرائيل وهي ملتزمة ومستعدة لتقديم الضمانات.

وسعت الولايات المتّحدة منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول إلى تدارك تداعيات "طوفان الأقصى" على مسار التطبيع مع الاحتلال، عبر جولاتٍ دبلوماسيةٍ مكوكيةٍ قادها وزير الخارجية الأميركية أنتوني بلينكن، طاف فيها على أهمّ دول الإقليم، السعودية ومصر والأردن والإمارات والبحرين وتركيا وسواها، واستهدف عبرها حث دول الإقليمية المطبعة على الالتزام باتّفاقيات التطبيع رغم الجرائم الصهيونية، ودفع الدول التي لم تطبّع بعد للتطبيع بأسرع وقتٍ ممكن، كما عمل على توطيد أسس التطبيع الإقليمي وتوسيعه ليشمل جميع الجوانب الممكنة.

بعد عملية "طوفان الأقصى" زار الرئيس الأمريكي بايدن كيان الاحتلال وصرح أن "العمل على حل الدولتين مهم اليوم أكثر من أي وقت مضى في إشارة للعمل على ترويج التطبيع.

و في تصريحات لصحيفة "يديعوت أحرونوت الإسرائيلية"، عقب "طوفان الأقصى" يقول السفير الأمريكي لدى "إسرائيل"، إن هدف الولايات المتحدة هو التغلب على الأزمة والعودة إلى المسار الأصلي، وفقا لصحيفة "تايمز أوف إسرائيل".

وأوضح عن صفقة التطبيع السعودية "الإسرائيلية" المحتملة، قائلا: "لهذا السبب قررت اتخاذ هذا الموقف في المقام الأول، وللخروج من هذه الفترة من الظلام الرهيب، يجب أن تكون هناك رؤية لشيء أفضل ومستدام ومستقر وأكثر أمانا لإسرائيل والمنطقة".

وأصر على أن "النافذة لا تزال مفتوحة للتوصل إلى اتفاق، على الرغم من أنه سيصبح أكثر صعوبة مع مرور الوقت، حيث تكثف الرياض انتقاداتها لمواصلة إسرائيل الحرب في غزة".

وتسعى إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى التوسط في اتفاق تطبيع بين السعودية و"إسرائيل" يشمل توفير ضمانات أمنية أمريكية للمملكة ضمن اتفاقات ثنائية أخرى بين واشنطن والرياض.

ومـن المقـرر أن تنتهـي ولايـة الرئيـس الأمريكي جـو بايدن المنتمـي للحـزب الديمقراطي في 20 ينايـر، أي مطلـع 2025، وتبـدأ ولايـة الرئيـس السـابق دونالـد ترامـب ، وهي التي سـعت إلى اتفـاق أبراهـام التـي ألحـق بعـض الـدول العربيـة في مسـار التطبيـع ، ومـن المؤكد أنها ستسـعى لإكـمال ذلـك الاتفـاق مـع دول عربيـة أخرى .

الموقف الأوروبي من مسار التطبيع في إطار "طوفان الأقصى"

تنعكس تعقيدات السياسة الخارجية الأوروبية تجاه الصراع "الإسرائيلي" الفلسطيني، وتتغيّر المواقف من دولة لأخرى، حيث كانت ألمانيا وبريطانيا هي الأقرب إلى موقف الولايات المتحدة، في حين ترفض بعض الدول الأوربية السياسات "الإسرائيلية" في الاحتلال والقتل، إلا أنها لازالت تدعو إلى حل الدولتين، حيث تبدوا الدول الأوروبية أكثر توافقا مع القرارات الأممية التي ما تفتىء إلا أن تذكرها مع كل بيان بشأن الحرب في فلسطين.

من هذه المواقف ما دعى إليه رئيس المجلس الأوروبي شارل ميشال، حيث قال "لا بد وأن يكون العمل على تطبيق حل الدولتين وتوقيع اتفاقات تطبيع بين إسرائيل والدول العربية الأخرى حتى تعيش المنطقة في سلام،" معربا عن قناعته بضرورة ممارسة كل الضغوط على "إسرائيل" وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) والأطراف الأخرى حتى يتم التوصل لوقف إطلاق النار وتحرير الأسرى، مؤكدا أنه لا توجد حلول أخرى سوى وقف إطلاق النار واستعادة الأسرى وتطبيق حل الدولتين، وقال إن على أوروبا ودول الخليج والولايات المتحدة والأطراف الأخرى في المنطقة أن تدعم مسار التطبيع، مضيفاً: "تظل أوروبا ملتزمة بدعم حل الدولتين، معتبرة أنه الحل الأمثل لتحقيق السلام الدائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين."

وفي بيانات متعاقبة للاتحاد الأوروبي بعد عملية "طوفان الأقصى" يؤكد الاتحاد دعمه أي جهود دبلوماسية تهدف إلى استئناف المفاوضات، وتعتبر أن التطبيع يجب أن يترافق مع خطوات ملموسة نحو تحقيق السلام.

و تسعى الدول الأوروبية إلى تعزيز العلاقات مع الدول العربية والإسلامية لدعم جهود التطبيع مع "إسرائيل" والتشجيع على دمجها في المنطقة.

بشكل عام، تحاول أوروبا تحقيق توازن بين دعمها للكيان الصهيوني واهتمامها بحقوق الفلسطينيين، مع التأكيد على أهمية التطبيع بين الكيان والدول العربية.

النظرة المستقبلية لمسار التطبيع بعد "طوفان الأقصى"

من المؤكد والذي لايدع مجالاً للشك، فإن النظرة المستقبلية لمسار التطبيع بعد "طوفان الأقصى"، قد تختلف بالنسبة للحكومات من بلد إلى آخر، في حين تظل ثابتة، بالنسبة للشعوب خاصة تلك التي ترفض التطبيع وتجّرمه، وفيها تأثير كبير للرأي العام.

ولأن النظرة المستقبلية لمسار التطبيع مهمة جداً، وهي لا تُبنى إلا وفق معلومات دقيقة تنتجها دراسات علمية متخصصة، فسوف نسرد تقريرياً نتائج بعض تلك الدراسات.

وفق عدد من الدراسات ، ربطت مستقبل مسار التطبيع بعد "طوفان الأقصى" بصمود المقاومة الفلسطينية ، أمام الصلف "الإسرائيلي" المراهِن على كسرها وهزيمتها ، حيث رأت هذه الدراسات ، أن صمود المقاومة في غزة وتحقيقها الانتصار إضافةً إلى الهزيمة التي ألحقتها به في اليوم الأول من المعركة ، سوف يعزز من النظرة المستقبلية الرافضة لمسار التطبيع مع العدو الإسرائيلي، وسوف تمتد هذه النظرة إلى المدى الطويل ، وتنحصر دعاوى التطبيع ، وتبرز دور المقاومة وحضورها في العلاقات الإقليمية والدولية ، والعكس كذلك إذا ما انتصرت "إسرائيل" وحققت أهدافها.

في حين، ذكرت دراسات أن النظرة المستقبلية لمسار التطبيع في المجتمعات المقاومة الرافضة للتطبيع قد تظل ثابتة، بل وتزداد ثباتاً ورفضاً لمسار التطبيع كيف ما كانت نتائج الحرب، وهذه المجتمعات هي أساساً رافضة للكيان الإسرائيلي وجودياً على أرض فلسطين، وهي في حرب معه، ولا يمكن أن تغيّر من نظرتها المستقبلية تجاه مسار التطبيع.

هذه الدراسات، ركزت أيضاً على ثبات النظرة الرافضة لمسار التطبيع في المجتمعات والشعوب التي تتمتع بحرية أكبر وفيها للرأي العام تأثير كبير، حيث ثبات هذه النظرة الرافضة و المناهضة لمسار التطبيع، أنتجتها عملية "طوفان الأقصى" وما لحقها من أحداث.

أما دراسات أخرى لعدد من الباحثين، فقد رأت، أن النظرة المستقبلية لمسار التطبيع، تتغير وتختلف خاصة عند تلك الحكومات و الأنظمة الدكتاتورية، وهي ما أن تقف الحرب حتى تسارع إلى التطبيع، رغبةً في التقرب إلى الأمريكي وإرضاءً له.

هذه الدراسات استشهدت، بغياب الرأي العام وغياب التحركات الشعبية الرافضة للعدوان على غزة لأكثر من عام.

وبالنسبة لأبحاث مراكز الدراسات "الإسرائيلية" في السياسة العربية تجاه "إسرائيل" بينت: توجهات الأنظمة السياسية العربية تجاه القضية الفلسطينية من ناحية، وتوجهات الرأي العام العربي تجاه الموضوع ذاته من ناحية مقابلة.

ونظراً لطبيعة النظم السياسية العربية ذات المنحى الاستبدادي، فإن المنظور "الإسرائيلي" للمدى الزمني المباشر أو القصير، يتركز على استثمار توجهات الأنظمة، على أمل التغيير التدريجي والممنهج في توجهات الرأي العام؛ من خلال وسائل الإعلام ومناهج التعليم من ناحية، والتحويل التدريجي للصراع العربي الصهيوني من منظوره الصفري باتجاه اعتباره صراعاً غير صفري من ناحية ثانية، من خلال التغلغل في البنية العربية عبر مشاريع مشتركة في ميادين مختلفة، أي توظيف السياسات الرسمية العربية لتحويل الاتجاهات الشعبية نحو الاتساق مع السياسات الرسمية المتناغمة مع السياسات "الإسرائيلية".

وذكرت دراسات غربية في السياسة العربية، حول النظرة المستقبلية لمسار التطبيع؛ استمرار تشبّث بعض الحكومات العربية بالتطبيع مع "إسرائيل"، خصوصاً في الموضوعات الاستراتيجية؛ مع الالتزام بالمعاهدات، واستمرار العلاقات التجارية، والحوار الديبلوماسي.

واستدلت بتواصل التطبيع العربي مع "إسرائيل" بالنهج الذي تروّج له السعودية، ولكنها تربطه بعدد من الشروط الثنائية مع الولايات المتحدة؛ مثل السماح لها ببرنامج نووي سلمي، وعقد اتفاقية دفاع مشترك، وتزويدها بالأسلحة المتطورة من الولايات المتحدة، إلى جانب استئناف "إسرائيل" المفاوضات لتسوية الموضوع الفلسطيني.

هذا ما ذكرته وأكدته الدراسات العلمية في النظرة المستقبلية لمسار التطبيع بعد عملية "طوفان الأقصى" في البيئة العربية، أما البيئة الدولية فليس من المتوقع أن تُغيّر من نمط سلوكها العام الذي تمارسه بعد معركة "طوفان الأقصى"، تجاه مسار التطبيع، بالرغم مما تحقق من تعاطف عالمي، ومن مواقف محكمة العدل الدولية ومحكمة الجنايات الدولية، وبالرغم من تحوّل "إسرائيل" إلى "دولة منبوذة" إلا أن هذا كله لم يغيّر في نظرتها المستقبلية لمسار التطبيع مع العدو "الإسرائيلي".

نتائـــج و خاتمـــة

نستنتج من كل ما سبق، أن عملية "طوفان الأقصى" قد تركت تأثيرات ملحوظة على مسار التطبيع بين الدول العربية و"إسرائيل"، سواء على المدى القصير أو الطويل:

التأثيرات على المدى القصير:

- **زيادة التوترات:** أدت العملية إلى تصاعد التوترات بين المسلمين العرب و"الإسرائيليين"، مما أثر على العلاقات بين الدول العربية والكيان.
- **تأجيل التطبيع:** قد تتراجع بعض الدول عن خطوات التطبيع أو تأجيلها، حيث تفضّل الحفاظ على موقف مؤيد للقضية الفلسطينية، ولو ظاهرياً.
- **تأثير الرأي العام:** هناك احتمال لزيادة السخط الشعبي في الدول العربية تجاه أي خطوات تطبيعية مع "إسرائيل"، مما يؤثر على الحكومات المتلهّفة للتطبيع.

التأثيرات على المدى الطويل:

- **إعادة تقييم السياسات:** قد تدفع الأحداث الحالية الدول إلى إعادة النظر في سياساتها تجاه التطبيع بناءً على ردود الفعل الشعبية.
- **العلاقات الإقليمية:** قد تؤثر الأحداث في تعزيز التحالفات الإقليمية بين الدول العربية التي تدعم القضية الفلسطينية وتلك التي تميل نحو التطبيع.
- **استمرارية الصراع:** إذا استمر الصراع بدون حل شامل، فإن فرص التطبيع ستظل محدودة، على الرغم من الضغوط الدولية.

وبغضّ النظر عن مآلات هذه المعركة وكيف ومتى ستنتهي، إلاّ أنها قد حققت مكتسبات ذات طابع إستراتيجي على مسار التطبيع لن يكون من السهل تخطيها أو عكسها مهما كانت تفاصيل المستقبل القريب.

فمستقبل تداعيات معركة "طوفان الأقصى" على مسار التطبيع من الموضوعات التي جرى تناولها، وتعدَّدت المستويات التي تناولت سيناريوهات تلك التداعيات وأبعادها، ومستقبل التطبيع في المنطقة بين المدى القريب والبعيد.

ولقد أثمر الطُوفان دلالات وأبعاداً استراتيجية كثيرة منها:

- شكل "طوفان الأقصى" زلزالاً استراتيجياً عصف بالكيان الصهيوني، وبدد كل مساعي التطبيع معه وفتح الأفق على تحوّلات ومتغيّرات بنيوية جذرية، على المستوى العربي والإقليمي، ودفع إلى إنتاج وإرساء وقائع ومعادلات ميدانية وسياسية جديدة؛ منها ما هو قيد التبلور، ومنها ما ينطوي على أبعاد ومفاعيل وآثار وفرص ذات طبيعة استراتيجية مستقبلية .
- تثبيت معادلة شرعية المقاومة، وهي المعادلة التي تمَّ العمل من أجل تدميرها - ولسنواتٍ طويلة - عبر اتفاقات التسوية والتطبيع، واستهدافها بالشيطنة ومحاولات الولوج لصبغها بصبغة المنظمات الإرهابية، فلولا هذه الملحمة الإعجازية المذهلة لشهدنا الانهيار والسقوط الكبير ولبات التطبيع بين الكيان الإسرائيلي والدول العربية أمراً واقعاً.
- سقوط فرضية إمكانية إغلاق الملف الفلسطيني، بينما تتم عملية التطبيع مع البلدان العربية والإسلامية، بحيث يتم الاستفراد بالفلسطينيين وعزلهم عن بيئتهم العربية والإسلامية، وفرض الرؤية الصهيونية في تسوية الملف الفلسطيني.
- صناعة رأي عام في الشعوب العربية رافض لمسار التطبيع، وهذا الرأي لا يمكن تجاوزه أو تغييره تجاه التطبيع، حيث جرّم التطبيع واعتبره خيانة كبرى تترتب عليها تداعيات كبيرة، والرأي العام هو معركة وعي تترتب عليها نتائج كبيرة، ربما تُنهي مسار التطبيع إلى الأبد.
- أنهت العملية كل الجهود الأمريكية السابقة الرامية للتطبيع ودمج "إسرائيل" في المنطقة، فبعد العملية ليس كما قبلها.
- أفرزت العملية تداعياتها الاستثنائية على مسار التطبيع وعلى كافة المستويات، فنتائجها تسير عكس التوقعات الأمريكية والإسرائيلية، لصالح القضية الفلسطينية.

وسيكتب التاريخُ هذه المعركة المباركة بأحرفٍ من العزِّ والافتخار، وستتجاوز في تداعياتها المستقبلية النتائج المادية الآنية من الإنجازات أو الانكسارات لمشاريع التخطيط والتدمير للأمة الإسلامية.

المصـــــادر:

- السيد القائد عبد الملك بدرالدين الحوثي: التحالف مع العدو الإسرائيلي تحت عنوان التطبيع.. حالة ارتدادٍ عن الثوابت الواضحة الدين والحياة، الثورة نت 13سبتمبر2024
- كلمة السيد القائد عبدالملك بدرالدين الحوثي بمناسبة الذكرى السنوية للصرخة في وجه المستكبرين 1444هـ، 2023/05/23 موقع الإعلام الحربي اليمني.
- قضية فلسطين في فكر وواقع المسيرة القرآنية، المجلس الزيدي الإسلامي، (اليمن وفلسطين.. شراكة المعركة والنصر)
- قراءة إستراتيجية في معركة "طوفان الأقصى"، رامز مصطفى جبارين 2024/03/10، الميادين نت.
- كيف تنعكس مجريات ""طوفان الأقصى"" على مسار التطبيع؟، طه العاني، 18 أكتوبر 2023، نون بوست.
- نبيل الريحاني، بين ""طوفان الأقصى"" والإعلام العربي".. وقفة عند السطور.. وما بينها، الجزيرة نت، 17 أكتوبر 2023، تاريخ الاطلاع: 20 أكتوبر 2023، م
- المسارات المستقبلية لمعركة "طوفان الأقصى".. أ.د محسن محمد صالح،27تشرين الثاني2024، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- انكشاف المشهد في السياسة والميدان مابعد الطوفان، الرابطة الدولية للخبراء والمحللين السياسيين،2024.
- الإعلام العربي ومعركة "طوفان الأقصى" ... التحولات والاتجاهات، عبد الرحمن فهيم30 أكتوبر، 2023، مركز الحضارة للدراسات والبحوث.
- تحولات الرأي العام الدولي و"طوفان الأقصى"، 4/ديسمبر/2023 أ. د. وليد عبد الحي، المركز الفلسطيني للإعلام.
- الإعلام العربي وعام من طوفان غزة، 8 أكتوبر 2024، أ.د. حسني محمد ناصر، موقع عُمان.

- مستقبل العلاقات العربية الإسرائيلية بعد الحرب، د. ايمان زهران. 19-03-2024، مكرز ساوث 24 للأخبار والدراسات.
- عام على "طوفان الأقصى".. المكاسب والخسائر، أكتوبر2024م، أبعاد للدراسات الإستراتيجية.
- ""طوفان الأقصى"": عودة التطبيع العربي/الإسرائيلي إلى المربع صفر، السيد شبل.13 تشرين اول 2023 13:19، الميادين نت.
- معركة «"طوفان الأقصى"»: قراءة في الأبعاد والتداعيات الأربعاء 11 تشرين اول 2023، ثابت العمور.
- العدوان على غزة يغلق مسارات التطبيع بين مصر وإسرائيل... مشاكل للطاقة والسياحة والكويز، أكتوبر 2023، عادل صبري، العربي الجديد.
- "ضربة لم تكن تتوقعها إسرائيل".. ما تداعيات قرار أنقرة بتعليق التعاون مع تل أبيب في مشاريع الطاقة؟، 11/11/2023، ترك برس.
- "طوفان الأقصى".. هل من إمكانية لإعادة النظر في مسارات التطبيع في العالم العربي؟، أحمد إدريس، موقع صوت، 22 ديسمبر2023-
- عام على حرب غزة...ماذا تبقى من مسلسل التطبيع بين إسرائيل والدول العربية؟، بوعلام غبشي 2024/10، الشرق الأوسط.
- "طوفان الأقصى": المواقف العربية الرسمية والشعبية، عبدالرحمن عادل 18 أكتوبر، 2023، مركز الحضارة للبحوث والدراسات.
- "طوفان الأقصى" والتداعيات الإقليمية والدولية، أسامة خليفة 8آذار2024م، موقع المعلومة.
- "طوفان الأقصى" و احتمالات التطبيع السعودي "الإسرائيلي، وحدة الأبحاث وتقدير الموقف، 20تشرين الثاني 2024.
- التداعيات الجيوسياسية والجيواقتصادية لعملية «"طوفان الأقصى"»، زياد حافظ 2024June10، موقع كيهان الإيراني.

- **"طوفـان الأقـصى" وتداعياتهـا عـلى المشـهد العـربي، الكاتـب: إعـداد: عُبَـادة كـسر، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة.**
- **أثر التطبيع على الأمن القومي للدول العربية المُطبعة والمنطقة العربية ٢٠٢٠ – ٢٠٢٤**
- **اعـداد: إسـماعيل أنـور عـلي عبـاس , عبير حسـن محمـد عبد العزيـز – المركـز الديمقراطى العـربى 1. سـبتمبر 2024**

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
مركز البحوث والمعلومات